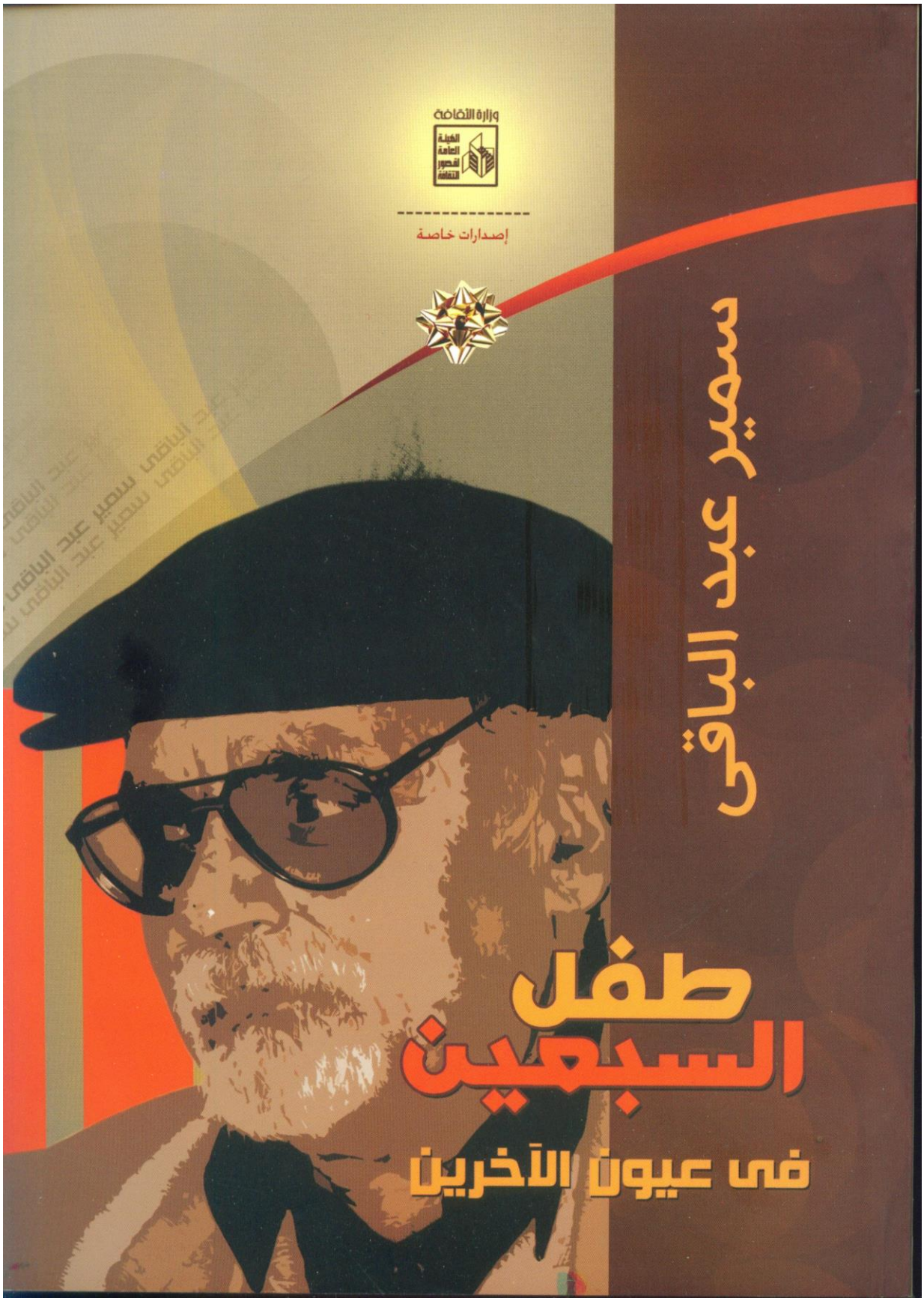
وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة
إصدارات خاصة
سمير عبد الباقى
طفل السبعين
فى عيون الآخرين

على هامش السيرة الذاتية

الكتاب الأول

# طفل السبعين في عيون الآخرين

# صور ومناكفات

# سمير عبد الباقي

## مـقدمه

### ﴿هـذا الكتاب﴾

ٌ جادةٌ أخّاذةٌ مسئولة ، تعنى بمعالجةِ الجانبِ المأسوي من حياةِ البشريةِ جانب دراسة الاضطرابِ والقلقِ ، وفقدِ الثقةِ ، والحيرة ، والكآبةِ والتشاؤمِ ، والهمِّ والغمِّ ، والحزنِ ، والكدرِ ، واليأس والقنوطِ والإحباطِ .

وهو حلٌّ المشكلاتِ العصر على نورٍ من الوحي ، وهدي من الرسالة ، وموافقةٍ مع الفطرةِ السويَّةِ ، والتجاربِ الراشدةِ ، والأمثالِ الحيَّةِ ، والقصصِ الجذَّابِ ، والأدبِ الخلاَّبِ ،

وفيه منقولات عن الصحافة ، والتابعين الأخبارِ ، وفيه نفحاتٌ من قصيدِ كبارِ الشعراء ، ووصايا الشعراء ، ونصائحِ الحكماءِ ، وتوجيهاتِ العلماء .

وفي ثناياه أُطروحاتٌ للشرقيين والغربيين ، والقدامى والمحدثين . كلُّ ذلك مع ما يوافقُ الحقَّ مما قدَّمَتْه وسائلُ الإعلام ، من صحفٍ ومجلات ، ودورياتٍ وملاحق ونشرات

إن هذا الكتاب مزيجٌ مرتَّبٌ ، وجهدٌ مهذَّبٌ مشذَّبٌ . وهو يقولُ لك بإختصار :

**(لا يحق لنا مالا يحق لأهلنا)**

# سمير عبد الباقي

**التقيت بسمير عبد الباقي سنه 1907 – لا أذكر كان خارجا من ثورة جامحة تم فيها تعطيل المكن ودواليب العمل وحيوانات الجر والحرث من أجل الحرية، ومن يومها وهو مضمخ بالزيت والشعر والشحم والشعارات وأقاصيص الاستشهاد، مصمما ومؤكدا أناء الليل وأطراف النهار، انه ليس من أدباء السلطة ولا من شعراء الأمن العام ، وليس من خبراء تحقيق أهداف الخطة، ولا من أزلام الحكام، علشان كده قلقان زى الآجري الهربان، وكان من المفروض أن يترك لنا هذا الشاعر استنتاجا واحدا**

نقوم بالوصول إليه دون أن يقدمه لنا، علي الأقل تحريكا لأذهاننا المرهقة المتعبة من كثرة الانتفاضات والثورات والحروب والمباحثات والمداهنات وربط الأحزمة علي البطون، وهو أمر ليس من الصعب جدا استنتاجه من أشعاره.

ولا أعتقد أن واحداً في العالم أستطاع أن يظل مخلصا للقضية أكثر من سمير عبد الباقي، لم يكتبها شعرا فقط بل أنه يعيشها ويرتديها ويصنع من خيوطها فراشة وغطاءه وطريقة كلامه، حتى إنها احتوته تماما – هذه القضية الثورية – فمنحته تقاطع وجهه وغطاء رأسه وشاربه وتصرفاته القاطعة الصارمة، ولو كان هذا الشاعر يملك نسبة معقولة من الشر مع تخفيض نسبة الشعر، لأصبح واحدا من أشهر الثوريين في العالم كله، بغض النظر عما أصاب الشعر والثوريين من تغيرات في المبادئ والتضاريس ومناطق التحقق والمناصب، وهو لا يضحك ولا يمرح ولا يدخن ويريد أن يظل مخلصا – حتى بعد أن تغيرت معاملات الإخلاص أيضا، فأصبح سمير عبد الباقي هو سمير عبد الباقي لا يقارن بأحد سوي نفسه ولا يمكن أن نضعه في جماعة أو داخل منظومة حتى ولو كانت هذه المنظومة تسعي لتحقيق أهدافه وحدة، وتنصيبه زعيما للأمة وحده فقد استغرقه الثوري تماما للرفض دائما، المستعصي علي كل أنواع الأمور والمناصب، والذي لا يشغله – من أمور الأمة – سوي الشعر، شعر للكبار وللصغار وللمصانع وللعمال وللفلاحين وللفئات المرهقة وللشرائح الكلية العرقانه، وللصباح وللمساء وللظهيرة ولمنتصف الليل، حتى الصعايدة منحت لهم صلوات مثل صلاة المطر والخوف والأعياد: ( دقيت علي باب الصعيد بكفوفي – وأنا قلبي سابقني لمدي شوقي الفلاحين الصعايدة رحبوا بيه – من تحت ضرس الفقر والأمية – دقوا لي تعظيم الأفندية – صعبت علية حروفي – قلبي اللي راضع حليبهم أحتمي فيه – فزود خوفي ..) ولأنه مشغول بالموقف أكثر من انفعاله بالشعر، ظهرت الذهنية العالية وارتفعت أحيانا نسبة النظم الذي يحد من الانسياب والتدفق حيث يكاد شعره يخلو من المناورات في اللغة والمعاني، يمنحك نفسه مباشرة دون إجهاد أو غوص، وهذا آمر قد لا يكون مرغوبا دائما.

ولا أعتقد أن أحد من جيلنا له الوفرة من دواوين الشعر، وهذه الغزارة في الإنتاج جعلت من شعره خيمة ضخمة تحنو علي عذاب الفقر والآم المستضعفين وتقاوم السلطة الغاشمة وتحاول أن تفك الأصفاد ومن الأعناق، تقدم الزهور للغلابة، والورود للمطحونين.

**محمد مستجاب**

# رؤيـــــــة

**أختلف مع هذا الرجل كيفما شئت .. اعتبره دقة قديمة .. آو ظاهرة منقرضة.. لكنك، في كل الأحوال لن تملك إلا أن تحترمه، خاصة إذا قارنت بينه وبين زملائه من أبناء الكار.**

يمتلك سمير عبد الباقي الشاعر المصري الكبير دأبا وحيوية وطاقة آمالاً أحسده عليها، وعندما أتأمل تجربته أقول .. اربي هل مازال بيننا مثل هذا النوع من البشر الشعراء؟

رحلة طويلة مع الشعر خاضها سمير عبد الباقي ناضل خلالها بقصائده النارية ودخل السجن وأضطهد في عملة وتجاهلته وسائل الإعلام لكنه لم يلن ينحن وواصل نضاله غير عابئ لا بمال ولا بشهرة ولا بشلة أو حتى حزب يقف وراءه ويشد من أزره ويرج له.

سمير عبد الباقي جاري وابن حتتى الذي مازال يقيم في شقه بسيطة ومتواضعة في جزيرة بدران اللي تبع روض الفرج يفاجئك كل يوم بعمل جديد له تقف أمامه مندهشا لتلك الطاقة التي يتمتع بها وتلك القدرة علي الأمل وسط ظلام دامس يكبس علي الروح ويصيبها بالكآبة والإحباط .. في وسط هذه "الضمه" مازال سمير عبد الباقي واقفا "ونهارا" ممسكا بشمعته وحاضنا لأمله في غد أفضل وأجمل.. يقول كلمته ورزقه علي الله ... إذا منعوا نشر قصائده في الصحف والمجلات السيارة يصدرها علي نفقته وإذا امنعوا في المنع يصدر مطبوع"مشروخ الأراجوز" ويرسلها إلي أصدقائه وقرائه ومحبيه بالبريد .. ويوزعها بنفسه في المنتديات الثقافية ويكتب علي غلافها أن سعرها جنية ومضعفاته ولا يتقاضي شيئا في الغالب.

ومازال سمير عبد الباقي يصدر مطبوعاته منذ عامين بشكل منتظم كل شهر .. ومازلت انتظرها أول كل شهر تأتيني دائما في الموعد رغم أنني لا اكتب عنها خبرا ولا انشر منها نصاً ولا حتى أهاتفه لأشكره عليها.

وهانذا أقول له شكراً يا عم سمير علي الشعر الجميل الذي أكتب مثله لكني رغم ذاك أحبه وأحب صاحبه .. وشكرا علي هذا الدأب والإصرار واعلم انك ستبقي واحداً من أهم شعراء العامية في مصر حتى ولو بعد ألف سنه.. أما التجار والأفاقون وبتوع كل الأنظمة وقاطعوا أرزاق الناس فسيذهبون بمجرد موتهم إلي مزبلة التاريخ !

**يسري حسان**

# كـــــلام مـن الـقـلـب

لا يستطيع احد أن يقطع برأي في الكيفية التي ظهر بها الشعر هل ظهر تابعا للرقص. آم مواكبا للعمل. آم مكملا للطقوس الدينية. آم من خلال تأمل الإنسان في الكون .....

لا احد يستطيع – ولكننا نستطيع القول بأن الشعر عاش وجدان الناس وعقولهم حينما دخل كلا من هذه المجالات بطريقة أو بأخرى. وانه قد ظل علي علاقة بالعالم المادي المحسوس وبأجساد الراقصين، وعضلات العاملين وعقولهم وحركاتهم، ورؤى المتعبدين ونشوتهم، المتأملين وأفكارهم، آو أن الشعر الذي استمر الذي حافظ علي كل هذه العلاقات التي أمدته بأسباب الحياة.

وديوان "كلام من القلب" الذي صدر أخيرا للشاعر الشاب سمير عبد الباقي. يضم كثيرا من الأشعار التي يؤكد حرص الشاعر علي ارتباطه بالعالم الذي يعيش فيه بني جلدته.. الناس في مصر. وعالم سمير عبد الباقي عالم خاص جدا، ولكنه أيضا عالم مشترك إلي أقصي حد. العالم الذي يبدأ من القرية بطينها وعرفها وملاعب أطفالها. والذي يصل إلي مقاهي المدينة. ورخام موائدها الباردة. العالم الذي يتقاسمه العمل والغناء. والموت والحب. والوحدة والامتزاج والصداقة والبغض. واليقين والشك.. ولكنه يستطيع أن يكشف"المذاق" المصري الخاص لكل هذه العناصر التي يشترك فيها كل الناس وكل الشعراء ويستطيع أيضا – بعد صراع يتضح في قصائد الديوان الأولي – مع مصطلحات شعراء آخرين ومع تراكيبهم وأصواتهم – يستطيع أن يستخلص لنفسه "هدفا" خاصا بعيدا عن مؤثرات فؤاد حداد وصلاح جاهين.

ولكن الشعر إذا كان يحتاج لغذائه وتنفسه لمادة العالم المحسوس وهوائه، آلا انه يحتاج أيضا أن يمثل هذا الغذاء بنسيجه هو وبنائه العضوي الخاص. يتنفس ذلك الهواء برئته الخاصتين.

واعتقد أن سمير عبد الباقي لم يكتشف هذه الحقيقة بعد، أو انه مازال يخشي أن يستخدمها إذا كان قد اكتشفها كما توحي بذلك بعض القصائد التي تعبر عن تجربة"الوحدة" في الديوان – حتى لا يتهمه احد بالانفصال عن عالم الناس والحقيقة والواقع. انه مثلا مازال مصرا علي أن يمزج مزجا مباشرا وقيما بين أمله في الحب وبين بناء السد العالي وكهربة الريف وميكنة الزراعة. الشئ الذي يحيل نهايات الكثير من قصائده إلي محض تفكير هندسي بارد. أو استخلاص مبني علي تحليل سياسي علاقته

**بالشعر لا تزيد علي علاقة الطعام الذي نأكله بالأفكار التي تنتجها. أن التكاملٍ الواضح بين لغة الديوان – العامية المصرية – وبين صوره وتصوراته ورؤاه وبين الناس الذين يكتب عنهم ويكتب لهم. هذا التكامل كان قادرا علي أن يصل بوعي الشاعر وانفعاله – إلي عقولنا ووجداننا ولكن كان علي الشاعر أن يكتشف أداة الشعر الفكرية والوجدانية الخاصة – بعد أداته اللغوية المتعلقة بأسلوبه الخاص في نفل ما يحمله من فكر. الأسلوب الذي يختلف من أسلوب أي نوع آخر من الكتابة. بل وعن أي نوع آخر من الأدب. للشعر – والشعر نفسه. طريقه خاصة غير الفلسفة. وقد يستخدم غير الفلسفة وغير التحليل السياسي. لاكتشاف العالم وللتفاهم المباشر بين الناس، ولذلك فانه قد يستخدم نتائج الفلسفة، وقد يستخدم نتائج التحليل السياسي – ولكنه بعيد كل البعد عن أساليبهما التعبيرية هذا إذا أراد أن يظل شعرا.**

**سامي خشبة**

# نـــــاس بـسعـر الـسوق

**قدم لنا الشاعر"سمير عبد الباقي" نفسه وكأنة. قال لا أنا من أدباء السلطة ولا من شعراء الأمن العام ومانيش من خبراء تحقيق أهداف الخطة ولا من أزلام الحكام.**

**ولا خدام في دواوير نقص ورقص والملك المعبود الأوحد ولا صاحب عيا ولا صاحب دكان علشان كده قلقان. لذلك في عرف السادة الخدام نكدي وشتام.. لا أنا عاجي آهل الذكر ولا الفكر ولا صبيان الإعلام .. اعمل إيه؟ شيخ النقاد شابي مش شافي إلا رئيس التحرير وسكرتيره. الشاعر مش سامع صوت غيره.**

**مابقاش ليك إلا الشعر تبرد بيه نارك .. وتحوط بيه علي دارك .. وتؤمنه علي أسرارك .. مع انه أضعف من خربوش جارك .. اللي يفتل لك من دق قصيدك حبل الإعدام.**

**وفي كتاب الشعر الثاني الذي أصدره. بشجاعة – علي حسابه قال:**

سكت الكلام والبندقية والحجر

آمنت بالفشل العظيم العبقري..المنتظر

كفرت بالشعــر القديم

كرهت بيرم وابن حداد والنديم

وابن المقفع والمعري والخليل والبحتري

الرحمة مش ح تجوز سوي ع المفتري

والمجد لأولاد الحـرام

من أول الأهرام لقنطرة الذي طق وكفر

وعن الثقافة والمثقفين يبدو أن قلب

**<< سمير>> مجروح فهو يقول:**

يا واد يا أبو الوسط السايب.. يا لبن رايب

يحق لك في زمان خايب .. تقلبها بوتيك

ثقافة إيه مالهاش لازمة .. إحنا ف أزمة

بقي الكتاب وإلا الجزمة .. لو عزت أهديك

ابرم مع البلية الماشية .. خس الحاشية

دغميشه سياحية وغاشية .. رقص ومزازيك.

ما إحنا ف زمان الخاطبة .. عيال رقاصة

شلة حناتر مهياصة .. هزة الهزازيك

أما عن المثقفين نص لبه، خلفه زخانيق

أوربا، زرا زير في توب الغربة، يتبدلوا الأدوار

أبو دقن يلبس بكيني .. والصيني يرطني

خميني .. غديني وانسي تلاقيني .. بقي ديني

فـــرق الـدولار.

**وكأن الشاعر يقرأ أحوالنا فانه يقول عنا:**

إحنا الرجال المطايا.. علي بوابات السرايا .. متبردعين بالعطايا .. متلجمين .. للي يركب. فينا الحصاوي اللي عادي .. مركوب يكيفه الإرادي .. وفينا فاجر معادي .. حسب الأوامر يرطب. ومنا ضاحك وباكي .. في الحوسة يطلب رضاكي .. في الكوسة كان اشتراكي .. ورسملوه لما عطب .

**ويظل <<سمير عبد الباقي >> يغني لنفسه ولنا، لا يتغير أو يتبدل وإنما يحتفظ بما في عقله من سياسة وما في نفسه من حلاوة.**

**محمد العزبي**

●

# أغنيات للأيدين السمرة

## ديوان عن الفلاحين

من وحي مجتمعنا الذي ينبض بالحب والعمل والحياة، ومن وحي أيدي الفلاحين المعروفة السمراء، كتب سمير عبد الباقي ديوان "أغنيات للأيدين السمرة" الذي صدر عن دار الكاتب العربي في سلسة ( اخترنا للفلاح)، ويقع الكتاب في نحو 46 صفحة.

والديوان ملئ بالأحاسيس والمشاعر التي تحس من كلماتها رائحة العرق والطين، فهو اثر علي نفسه في هذا الديوان أن يغني" للأيدين السمرة".

عـلي دقة فأسك غنينـا

يا معشم بالـنور لياليـنا

قـدفنا .. وعـمنا .. وعـدينا

لـولاك ع الـشط ما خطينا

وفي الديوان أكثر من أغنية للقطن

فما أكثر الآمال التي تداعب خيال

**الفلاحين مع مجئ القطن:**

قلبي يعشق كل حته في غيط بلدنا

وإما أقوم امشي واقعد..

القي قلبي فوق غصون القطن يقعد

قلبي يبقي فوق غصون القطن أوزة

قايمه تستنظر من الشموسه ظله

لجـل تكبـر ..

والأمـل للبيض يفتـح ..

**والديوان ملئ بالأخيلة والأحاسيس ولكن هل أدي الشاعر كل ما عليه؟**

وأقول: انه كاد أن يؤدي كل ما عنده للفلاح .. ولكن رغم ذلك .. لم أقرا في الديوان بيتنا واحدا عن الفلاح في الانطلاقة الثورية التي يعيشها مجتمعنا الجديد.. أن فلاح الثورة اخذ الكثير من حقوقه.. وكان علي سمير الباقي أن يذكر خواطر الفلاح في مجتمع الثورة الناهض.. وما يداعب خياله من أمال وأماني كثيرة؟؟

ولعل أروع قصائد الديوان في نظري قصيدة"يامحلاها كانت أيام" التي يصوغ فيها المؤلف طفولته القروية التي هي طفولتنا جميعا..

ولعلة الديوان الأول للشاعر عبد الباقي وهو خطوة موفقة ..

ونرجو له المضي في طريقه .. ويقدم قصائد أكثر جودة .. وأكثر خصوبة .. فلقد أمضيت مع الديوان ساعات طويلة أحسست فيها بما أحس به الكاتب من معاناة وصديق وأصالة.

**حسين محمد علي محمد**

**ديرب نجم**

**تعاون الفلاحين(1968/1/9)**

●

# في حب مصر

إضافة جديدة في الشعر السياسي ..

# الشعر الذهبي هو رئة الناس في الأزمات الرمادية.

**يمثل الشعر الشعبي الصادق، ومن ثم الغناء السياسي، رئة يتنفس عبرها الشعب، أبان أزماته الرمادية، أو انتفاضاته المجيدة. هذه الرئة ، والتي برزت كعالم محدد الملامح، توجهت في – مصر – بشكل خاص، منذ ثورة 1919 بأشعار – بيرم التونسي وبديع خيري وبألحان سيد درويش – لتمتد فيما بعد إلي ثورة 1952وما بعدها، عبر أسماء عديدة، استمرت صادقة وحقيقة، أو دخلت في لعبة الاستهلاك أو الإلهاء، أو الابتعاد عن الناس الذين يشكلون القاعدة الأساسية المهمة لهذا الشعر بانطلاقته أو توجهه. بالتالي اتضح تياران ضمن تحريك مسيرة هذا الشعر في مصر. تيار خرج وابتعد عن الناس بدرجات متفاوتة – صلاح جاهين – عبد الرحمن الأبنودي – بعد احتوائه – وسيد حجاب بدخوله دائرة الاستهلاك والكتابة التجارة–.**

**والتيار الأخر الذي بقي ملتصقا بالناس، بأمانيهم وآلامهم، وبقي متوهجا بصدق عنهم رغم كل ما يقف ضده من قوي مضادة وقمع وسجون وتغيب ومثقفين انتهازيين، مستمرا بالتزام وبنضج فني وفكري متقدم – احمد فؤاد نجم – نجيب سرور – زين العابدين فؤاد – سمير عبد الباقي – فؤاد حداد – فؤاد قاعود – أسامه الغزولي كشعراء.**

**والشيخ أمام – محمد حمام – عدلي فخري – عزة – تيريز أصفر وغيرهم كملحنين ومغنيين**

**وانتفاضة الجوعي في 18و19 كانون الثاني من العام الماضي في مصر، تؤكد أهمية الشعر الشعبي والغناء السياسي، فالهتافات والشعارات المنطلقة من الناس بعفوية رائعة هي الصادقة غير المزورة:**

"أحنا الشعب مع العمال ضد تحالف رأس المال

أحنا الشعب مع العمال ضد الحكومة الأستغلال.."

**بمثل هذه العفوية والبساطة الصادقة تحركت شفاه الفقر:**

"مش كفاية لبسنا الخيش

جايين ياخدوا رغيف العيش ."

**وكان رفض الجوع ورفض الاستغلال أغنية مقدسة:**

"يا حكومة الوسط وهز الوسط

كيلو اللحم بقي بالقسط –

يشربوا ويسكي ويأكلوا فراخ

والشعب من الجوع اهو داخ

يا حرامية الانفتاح

الشعب جعان مش مرتاح –

يا حكومة خاينه ورجعية

الشعب كلوه الحراميه –

جوز الجزمة بسبعة جنيه

أمال الفقرا يلبسوا إيه؟..."

**بمثل هذه البساطة، والتعبير عن النفس كان الفقراء يصرخون، متقدمين بقوة في وجه النار والقمع والعسكر والسجون نحو بوابات للفجر.**

**وبمثل هذه البساطة يعترف الشاعر – سمير عبد الباقي – بحبة لمصر بفقرائها ومتعبيها في ديوان – في حب مصر – . الصادر في بيروت – دار الفارابي.–**

**وسمير عاشق مخلص لمصر فمن أول قصائد الديوان وحتى أخر قصيدة يتوهج هذا الحب، عبر الفلاحين والشغيله، النيل رفض القهر، الليل، والشهداء، البحث عن فجر أكثر ألقا يقفز فيه من ظلمات المعتقل :**

"ولا يبقي ما بيننا حديد قضبان" ...

وأخدك وأطير بك في الخلا بحصاني.. ص 18"

**هذا الحلم الثوري الرومانسي لعاشق، لاينطلق من أرضية رومانسية، بقدر ما يستند إلي فهم ووعي:**

"يامصر قومي وارفدي جناحاتك

قومي انفضي القهر، قومي رجعي الشهداء .. ص-10"

**فللطيران علي الحصان من فرح، لابد أولا من رفض للقهر ولطلوع شمس سينا، لابد من أن يمد الناس أيديهم إليها، ومصر الفراء تعرف هذه الحقيقة جيدا:**

"مـصر تعرف في السياسة ..

عارفة أن الشمس فوق سينا يطلعها البشر..ص 30"

**ولذا يعرف الشاعر أن علية أن يصر بهذا، وان يركض مع مصر، عبر الكلمة الحقيقة:**

"لآني أتعلمت أن الكلمة لما تخضر بقلبك..

لازم تـفردها بطول الشـارع. ص- 72"

**لكنه لا ينسي أن للكلمة وجها آخر، يستغله تجار الكلمة،**

**ومزور الحرف المدعين:**

"ياخدوا بالحضن الأوطـان

والقـمر السهـران

والطين الخمران والناس

ويدقوا طبول الحرب بكل حماس

في ستوديوهـات الراديو

وعلي شاش التليفزيون.. ص – 76"

**ورفض الشاعر لهذه الفئة المثقفة الانتهازية، يقتر وبوضوح بتصور للكلمة، للشعر:**

"وان الشعر اللي ما يلهبشي وعي الناس

ويفتح عينهم للبؤس الكاتم فوق نفس الإنسان

سيف في أيدين أعداء الشعب لقهره ... ص -92"

**الكلمة هنا إذن، تلهب وتعري وتدفع، وبهذه الكلمة يتعامل الشاعر دافعا ضريبة هذا التعامل فمعاً وتجويعا وسجنا، عارفا أن الثوري المقيد بالأغلال والمنقاد تحت التعذيب إلي المعتقلات آو لمكان الأعمال الشاقة يعتبر حرا بالنسبة للضرورة التاريخية، في حين أن من يعذبه آو يقوده هو عبد هذه الضرورة:**

"وفـتحا قلوبنـا

لجل تعشش فيها العصافير الخضرا ..

حتى وإحنا في أيدين العسكر – ص63"

**لكن هذا لا يمنع الشاعر من أن يحزن:**

"وهـــو عني .. عزيني ..

حين أتذكر آن بلادي ما زالت في الأسر أسيرة

غـنوتها حزينة وكسيرة .. ص 112"

**الحزن هنا ليس حالة خاصة، لذا يبحث الشاعر عن الخلاص منه لا بالبكاء ولا بالصمت، لكن بالركض نحو غناء للفرح، بعبور غابات من تعب، وببنادق تتقن الحديث:**

"خلو الرصاص هو اللي يبكي ع الرجال ...

خلوا البنادق تحكي للدنيا حكايتنا ...

تغني في الميادين وفوق قمم الجبال ...

غنوه فرح حرة .. طول العم غنوتنا .. ص 118"

**وبانتظار هذا الغناء الجميل، يري الشاعر بحسه الإنساني الكبير لحظات للفتح في أمكنه عدة، رغم السواد المطبق عنده:**

" الليل إذا طال هنا ..

الفـجر طالع هناك.

فـوقى المشانق أنا.

شايل بنادق هناك ص 119"

**وهذا الخلاص الجماعي، يكتبه بالدم الفقراء:**

"في عز ليل القهر تخضر الأماني

ورصـاص بنادق الشعوب

يكتب تاريخ الشغالـين ص 138"

**ومصر التي تسكن الشاعر، تأتي بهية متخلصة، من كرابيج الخونة. منتفضة لتحطيم قصور التأمر التي يشيدونا فوق ظهرها، تدور علي السواقي والأطفال الجوعي واليتامى، وعيون المعتقلين والشهداء، تحمل ربيعا مصنوعا من دموع الفلاحين. تأتي بالنار:**

"ولا زى نيران الحرب تطهر قلب وعقل الناس

ولا يخلي زيه صوت الشعب

يخلي الجند توج.. حماس.. ص 209"

**تأتي رغم، نهش السماسرة، وأنياب الانفتاح، وقمح الحكام، والرقص علي جثث الشهداء، والاحتضار تأتي رغم الذين ضدنا، ضد الوطن، رغم المشهد الحالي :**

"يابلدنا ياالليل صبايه ..

آه يا شطوط الأماني

مهما نهشوكي الديابه

م العذاب ح تقومي تاني .. ص 129 .."

**تأتي للأطفال الذين يحملون بالوردة، وللعشاق، تأتي عندما يقول عشاقها تعالي، فتهمش فاتحة ذراعيها.**

جميل حتمل

●

# أحمد علي بدوي

# النشـــــيد الفقيـــــــــــــر

**كتب ميلتون في قصيدته الدرامية" الجنة المفقودة" كأنه ليس للحكمة من طريق إلا أن يبزغ الضؤ السماوي من الداخل وان يشع العقل بكل قواه ويزرع عيونا أخري في مكان الضباب يمينا وشمالا بحيث أري وأروي أشياء لا يراها بصر الفنانين.**

**ولم يكن عملاق القرن السابع عشر الفرير بعيدا عن رؤية حادة لمشكلات القرن العشرين، فها عن هو ذا سمير عبد الباقي في قصيدته – الدرامية أيضا " النشيد الفقير؛ عن بابلو نيرودا"**

**يطالعنا بهذه الجملة التي تقطع استرسال القصيدة" يتجسد الموقف من أوهام الحلم وتشرق شمس الرؤية من غيم الفكرة" وهي احدي الجمل المكتوبة بالفصحى في ثنايا النص المكتوب بالمصري العامية في مقابل جمل ثالثة مكتوبة بلغة بابلو نيرودا الذي استوحاه الشاعر ونقل بعض كلماته ترجمها عن الاسبانية منذ سنوات احمد سويد ونشرها في بيروت.**

**نعم يعودنا سمير عبد الباقي منذ البداية علي إيقاع ثلاثي لهذا الكتاب:**

**جملة من نظم بابلو نيرودا وتعريب احمد سويد (بالفصحى) مثل:**

"لقد أتيت لأنطلق بقمم الميت فوحدوا .. عبر الأرض الجمع الشتيت، جمع الشفاه اللاصقة .. هلموا إلي عروقي .. انطقوا بأقوالي ودمي!"

**ثم عدة أبيات من نظم سمير عبد الباقي بالمصرية العامية علي لسان الكورس والمغني مثل :**

"أنا كنت مره وعشت في برلين"

أنـا كنت في مدريد

في رومـا في أثينا

أنا كنت مرة وعشت  في طهران

أنـا كنت في لشبونة

أنا كنت مرة وعشت في سنتياجو

باحب بلدي سنتياجوف شيلي

وباعشق الحي القديم في أثينا

وأحب أتخيل في ليل القدس

طعم المدينة القديمة

واحلم بشوارع بواكي في جنوب طهران

* * *

وأتمنى أجيب من يافا صورة العدرا

ومن فينيسيا اشتري بيكاسو

واقعد اشرب القهوة في باريس وأتصور

وأناقش الطلبة في شئون الكون

وأرجع مدريد أغني غنوه الأنصار

وأسمع لكونشرتو الكمان في فيا

واكل في دلهي الكاري.. والأناناس

وأتمشى في الخرطوم

في ليل قمري

وأسهر لحد الصبح في الأزهر

اركب خيول الرياح في الغرب من كلورا دو

وأتوه في أفريقيا في قري مجهولة.

***

**والجمل التي تختم الإيقاع الثلاثي لهذه القصيدة هي التي كتبها سمير عبد الباقي نفسه بين قوسين بالفصحى كأنما يوجه بها مخرج القصيدة الدامية إذا قدر لها الإخراج علي المسرح وهو في الحق مستحيل لأن صعوبته في صورة إخراج مسرحية مثل" الذباب" لسارتر حيث تنصيب اللغة المتضمنة في مصر الشخصيات المأسوي علي هيئة جحافل من الذباب تنقض علي أبطال المسرحية الأحياء وتلتهمهم وكأنهم أموات . وأي مخرج يستطيع تنفيذ جملة لسمير عبد الباقي مثل" علي قدر حزن لحظة الصلب تكون صحوة القيامة". إنما هذه الجمل في رأينا مقدمة لتهيئة الجو النفسي عند القارئ القصيدة، ولم يكن تنيسي ليامز بحاجة إلي مخاطبة المخرج عندما كتب – بين قوسين أيضا – في الفصل الخاتمي لمسرحية" عربة اسمها اللذة":**

**(يدخل رجال مستشفي المجانين إلي منزل ستيلا لأخذ أختها بلانش إلي مستشفاهم، تهرب بلانش منهم إلي حجرة النوم مدعية إنها نسيت شيئا، يحلق بها ستانلي زوج ستيلا ويشير إلي فضاء كارتوني وردي كانت تغطي به لمبة الحجرة قائلا " اترك نسيت هذا؟" ثم تنزعه بفظاظة ينخلع لها جسد بلانش وكأنها هي التي تمزق بفعل يده الكثة) بل كان يهيئ القارئ فلسفا لسبر أغوار الشخصيات ولفهم رمز كالغطاء الوردي الذي كان يحجب الضؤ الصارخ منذ بداية المسرحية والذي كان يحجب الضؤ الصارخ منذ البداية المسرحية والذي حرم تمزيقه صاحبته من كل المبادئ التي كرست لها حياتها: العفة الكاذبة والحرية ممارسة الجنس طالما أمكن إخفاؤها.**

**لأي جو نفسي أذن تهيئ القارئ تلك الجملة التي تذكرنا بجنة ميلتون"يتجسد الموقف من أوهام للحلم وتشرق شمس الرؤية ومن نميم الفكرة"؟: إلي ذلك الجو النفسي اليائس الذي قدسه الوجودي كير كجارد قائلا في كتابة " المطول في اليأس" تعسا أم سعيدا رئيسا أم مرءوسا، مغمورا وسط الملايين أم غطت يتجان الشهرة وأشواكها رأسك فان طريقك إلي الخلود أيها الإنسان هو اليأس!**

**ويقول سمير عبد الباقي بعد جملة الفصحى "لا اسم لا أبهة ولا عيشة مرتاحة ولا شهوة للمغنمة ولا توهه ولا راحة. في الشعر لازم حتبقي!"**

**ليس اليأس أذن طريق الخلود، وإنما هو الشعر!.." والباقي يؤسسه الشعراء كما قال هيدرلين، ذلك الشاعر الألماني الذي تاه به الوجودي الآخر "هيدجر" إعجابا وحديثا!**

**عفوك أيها القارئ ! فها هو ذا " النشيد الفقير" بأنواعه الثلاثة من الجمل قد قادنا إلي نص رابع نقدي؛ فإذا كنت قد لهثت بع قراءتك هذا النقد فعذرني أنني أيضا قد لهثت بع قراءتي نص سمير عبد الباقي، ولهذا كتبت متلعثما ومتعثرا!**

**سمير عبد الباقي**

●

# * الشعر والنضال *

# قراءة في قصيدتين لسمير عبد الباقي

سمير عبد الباقي فنان متعدد المواهب يكتب شعر العامية، وقصة الأطفال، والمسرحية وعرفته أخيرا شاعرا فصيحا في قصيدتيه – جريدة حائط مصرية عن اغتيال كمال جنبلاط – رسائل إلي ليلي العامرية – .

ومن الملاحظ علي شعر سمير عبد الباقي الفصيح انه يكتبه بأسلوب سهل بسيط لا يستغلق علي الإفهام، ولا يلجأ إلي الرمز الملغز كما يلجأ شباب شعراء هذه الأيام. انه شاعر له قضية، يعرف ما يريد أن يقوله، ولهذا تجئ كلماته واضحة جلية.

يقول في المقطع الرابع من – رسائل إلي ليلي العامرية –

يا من يوقظ حراس الأسوار

ويأخذ عمري

جئت احذر أصحاب الدار

يصل الأعداء مع الفجر

فاغفر لي صاحب كل الشرطة

آني اعشق ليلي

وملامح فيروز، وضحكة ولدي

اغـــفر لي

أثار سياطك تنهش ظهري

وتجهز للقاء التتر

**وعندما تلجأ إلي التراث والتاريخ العربي يستلهمه فلانة يعرف أن التاريخ العربي متجدد. يقول في مقطع – بلاغ – من قصيدة – جريدة حائط مصرية عن اغتيال كمال جنبلاط:**

يتخثر نهر الـدم

تجف عيون الماء

ويرفض بساتين اللوز هدوء الموت هذا

صـــاحبكم

أسلمه الأهل إلي – بيلاطس – رسميا اغتالته جرائد سلطان

الصـــحراء

وأقلام الخصيان

اغتــالته علي صدر الفقراء

أموال ولاة السوء وقوات الأمن السرية

اغتالته علي صدر الوطن المذبوح

بــلادة حس الحكماء

ومحاكم تفتيش عقول الشعراء العربية.

**ومن الملاحظ علي قصيدتيه الفصيحتين أنهما طويلتان قصيدة – رسائل – في ست مقاطع طويلة. وقصيدة – جريدة حائط – في ثماني مقاطع لكل مقطع عنوان منفصل.**

**وشعر سمير عبد الباقي شعر مناضل، يرفض محاولات قهر واستذلال الإنسان:**

حلمك يا بنت العلم يؤرقني

حـلمك عصـري

والقـرن العشرون بعيد

وأنا لا املك إلا سيفك صدئا

مـن شعـر حديد

وبقايـا منشـور سري

وغـذائي مـلح وقديد

**وهو ذو حس قومي ينظر حوله فيري العالم العربي تتقاسمه تيارات مختلفة. واختلف العرب بينما الأعداء اتفقوا علي تقسيم العرب ومحاصرتهم:**

يقول مخاطبا كما جنبلاط: حولك نهر الأحزان اللبنانية

والوطن سليب يا أبتي، والصمت كئيب

ولـذا فالموعد قد يتأخر هذا العام

الأخـوة قبل الصبح اختـلفوا

فـي تفسير هوية موت الإنسان

والأعــداء ائتلفوا .. اتفقوا

إلا يبـحر قاربك المكسور المجداف

ســوي للموت أو النسيان ..

**لكن شاعرنا مناضل، ويعرف أن المناضل لابد أن يتفاءل رغم المثبطات والمجهضات من حوله.**

**ولهذا يخاطب الأجيال الجديدة من أبناء العالم العربي بعد اغتيال كمال جنبلاط:**

مـن منكم يرث العهد عن القديس

من يحمل معنا عبء الأيام السوداء

سيشاركنا إكليل الشـوك

وسيعرف معنا طعم الصوم الزهيد

وطعم الصـوم – الجـوع

قـد يقتل فـي الخندق مـعنا

أو يغتـال كوالـده

في قاعات المؤتمرات الرسمية.

لكــن – لن يصبح رقما

لن يهزمه الموت القادم من عمق الليل ولن تخذله الأطفال العربية.

**إن سمير عبد الباقي وجه جديد في شعر الفصحى، انه شاعر له قضية، يقول شعره في وضوح لا يستغلق علي الإفهام ، وحينما يلجأ إلي الرمز من فليوضح ما يوضح ما يقوله وحينما يكون الإفصاح مستحيلا.**

**حسين علي – الشرقية مصر**

●

# مـــــصر - الـمـيـــــلاد

كانت أمسية كالمعركة .. تمنع الحاضرين الشرود .. تنهال علينا الكلمات كما حبات البرد في يوم قائظ .. فتحقق من النشوة واليقظة.

مصر بكل تضاريسها وانتصارات العمال والفلاحين فيها كانت حاضرة معنا، تحدثنا طويلا إلي عمال أسوان والسد العالي .. فأشعرونا بالخجل من أنفسنا، أمام انتمائهم الأصيل وتضحياتهم المدروسة الهادفة.

فلاحو المنصورة وأسيوط وكل المناطق المصرية، التقيناهم ليؤكدوا لنا آن مصر اليوم أخصب من أيوقت مصر، فالمحنه علمت كل فلاح أن يفتح عينيه علي أرضة، من الذئاب المتربصة .. وأن ينزرع فيها مع الأشجار.

عزيمة التحدي وصحوة الكشف هما ميزة وجوه الثائرين في مصر، وهذا ما لمسناه في أمسية الحمراء.

أغنيات عدي فخري كأنها البركان حاملا غضب العمال واللافحين، ليقذف بكل الخونة والمستغلين إلي الجحيم." يا مصر " تخرج من حنجرته كالموج، ويفتح بعدها كل البوابات، فندخل معه إلي الحارات المصرية، إلي بيوت العمال الفلاحين، نزور السد العالي ومعامل أسوان، وندخل السجون حيث المفاجأة .. عشرات الآلاف من المناضلين أكثر ثقة منا وأقوي عزيمة.

.. هكذا وصلت إلينا أغنيات عدلي فخري .. التي كتبها سمير عبد الباقي وأحمد فؤاد نجم وأحمد عقيل وغيرهم ممن عودوا السجن أن يخافهم .. لا أن يخافوه.

ثلاث ساعات من الشعر والجمر، قرأنا بها خارطة القضية العربية. لم يفصل سمير عبد الباقي فلسطين عن، مصر فكلتاهما تعاني التزوير والاحتلال والمجزرة يديرها مستعمر ومستغل، وأدواتها الوسطاء والسماسرة والطفيليون والمأجورون من الأصناف.

المجزرة ليست في دير ياسين وكامب ديفيد فحسب، هي في البترول العربي المتأمرك، وهي في الثقافة التضليلية الاستهلاكية، وفي كل استغلال طبقي .. أو إنسحاب من المواجهة.

في ذكري عبد الناصر وثورة تموز، لم يذرف الثائرون الدموع، إنما أعلنوا رفضهم للانهزام.. استسلاما كان .. أم حيادا أم وقوفا خنوعا عند الماضي، فتخلد عبد الناصر والوفاء لذكراه استمرار وتطوير مسيرة التحرر والبناء التي كان فاعلا فيها.

مصر إذن ترفض دموع العطف، قوية لإنزال.. بعمالها وفلاحها، وتاريخها دروس تتعلم منها الأجيال المتعاقبة.. من ثورة عرابي.. إلي انتفاضة يناير.

والمحنة الساداتية التي تعاني منها مصر الآن، لن تكون إلا محرضا علي ولادة مصر العربية الأكثر تجددا وثورة وانتماء.

**علي عبد الكريم**

# فـــي حـــــب مـــصـــــــــــر

منذ شهرين أو يزيد زاراني في مكتبي بالأهرام شاعر شاب سمير عبد الباقي ليدعوني لمشاهدة عرض غنائي كان يعرض بعد واسم العرض "في حب مصر". وقد جاملني صاحب }قاعة تشايكوفسكي{ حرب أكتوبر 1973 في المركز الثقافي السوفييتي الدعوة بوصفه مؤلف أغاني ذلك العرض. وقد شغلتني واجباتي اليومية عن شهود العرض كما آني، بصراحة، كنت أشعر بنوع من الفتور نحو ما يسمي عادة "أدب المعركة" و "مسرح المعركة" بصفة عامة لأني كنت أحس أن الفن المستولد في خلال أيام أو أسابيع تحت ضغط الأحداث لاستنفار المواطنين للجهاد الوطني أو لتمجيد بطولات أبطالنا علي الجبهة لابد وان يحمل طابع المجلة والأرنجال ولابد أن يكون ناقصا في الأصالة.

وبضغط من أصدقائي الشبان المتحمسين للعرض ذهبت ذات ليلة إلي قاعة تشايكوفسكي حاملا فتوري معي ولكن ما أن شاهدت هذا العرض حتى انقلب كل شئ في رائي وفي مشاعري وأدركت إني أمام عمل فني هام وتجربة فنية مثيرة، وان"في حب مصر" كانت أرقي وأنظف وأصدق إنتاج في فن المعركة رأيته أو سمعته منذ 6 أكتوبر.

وجدت أمامي فرقة من الشبان الهواة مكونة من ثمانية أفراد، خمسة شبان وثلاث فتيات أكثرهم بين العشرين والثلاثين يقودهم أحدهم وأسمه عدلي فخري وهو منشد الرئيسي/ والباقون بمثابة كوراس وأصداء فردية لما يغنيه المنشد الرئيسي . وكانت

المجموعة الثمانية تتحرك في تكوينات بسيطة منضبطة علي مستويات البرايتكابلات المختلة. لم يكن هناك ديكور علي المسرح إلا ثلاث مصاطب خشبية بسيطة ولم تكن هناك "ملابس" لان المجموعة كانت كلها تلبس ملابسها الخاصة، مجرد بنطلون اسود وبلوفر اسود يلبسه الأولاد والبنات، ولم يكن هناك مكياج أو إضاءة فيما خلا أربعة أو خمسة بروجكتورات ولم تكن هناك اله عود واحده ولكنه عود بليغ، ولم تكن هناك رواية ومع ذلك كان هناك فن بكل معني أصيل.

لم تكن هناك رواية، وإنما كانت هناك نتيجة متصلة الحيات من الأناشيد في حب مصر استغرقت زهاء ساعة ونصف ساعة ملكت علي الناس أسماعهم وأبصارهم فمرت وكأنها نص ساعة ، وكانت الأناشيد ملونة في أكثر مقاطعها بدعاء العابد لمصر، وبأفراح القلب المصري، وبأحزاننا الجنائزية المشهورة علي دم الشهداء المهراق، وبحماس طلاب الجهاد في سبيل الوطن، وبتهكم البسطاء البرئ علي الغيبوبة المترفين، ومع ذلك فقد كانت في عرض من بدايته إلي نهايته وحدة نبض ونبض واحد في الشعر والنغم، لم يكن مصدرهما وحدة الموضوع فقط، وهو "حب مصر" ولكن كان مصدرهما إحساس عميق يشبه الوجد الصوفي بوحدة أمواج النيل وطمي الحقول وسمائهما الصافية من يناير إلي يناير وعرق الفلاح والصانع ودم الجندي المصري الذي خضب رمال سيناء من عهد مصر، فان أردت أن تبحث عن قصه في هذا كله فهي أي ابن من أبناء مصر كان يعيش في فردوسه الأرضي في براءة الطفولة الأولي في أحضان أمنا العظيمة حتى كانت الخطيئة الأولي كارثة يونيو **1967**، وما أعتبها من علقم السنوات الست، إلي أن يجدد فينا الآمال والعزائم بوثبة **6** أكتوبر.

وعرفت أن المنشد، وهو عدلي فخري، الذي لحن كل أغاني العرض، جامعي تخرج في كلية العلوم قسم الكيمياء ثم درس معهد الموسيقي، وان زملاءه بعضهم حديثو التخرج في كليه الأدب أو كلية الحقوق في الكونسر فاتوار، وبعضهم لا يزال يدرس في جامعتنا، وإنهم جميعا طلاب ووطنية وليسوا طلاب مال، كذلك مخرجهم الشاب سامي صلاح جامعي من قسم الاجتماع يعمل كاتبا في إدارة جامعه القاهرة. وقد قدمت هذه الجامعة عرضها نحو أربعين مرة أكثرهما في قاعة تشايكوفسكي واقلها من الجبهة واستجابة للدعوات الخاصة في الريف والمدينة، علي نحو **10.000** مشاهد.

أما أنا فقد شاهدت هذا العرض أربع مرات ليس فقط في حب مصر، ولكن كذلك في حب النغم الجميل والشعر الرقيق والصوت الرخيم القوي، وكنت في كل مرة اصطحب صديقا من شريحة ثقافية مختلفة لأدرس فيهم انفعالاتهم علي الطبيعة خشية أن تكون أحكامي علي ما رأيت وسمعت أحكاما شخصية ذاتية، واصطحبت مديرا لبنك كبير ودبلوماسيا معروف وأعظم ذواقة للموسيقي الكلاسيكية في بلادنا فخرجوا مبهورين. وحين حملت إلي توفيق الحكيم شريط التسجيل أذهلته هذه الظاهرة الفنية الخطيرة التي جدت بها **6** أكتوبر روح ثورة **1919** وجيشان سيد درويش.

لقد أعاد المغني المنفرد، عدلي فخري تصميم أله عود بحيث تحمل علي صدر المغني المتجول علي غرار العود الأندلسي لو قيتاره الشاعر الجوال في أوربا أيام الشعراء التروبادور والتروفير والينيسنجر، فهو بغير حاجه إلي " جلسه" العازف وغير حاجه إلي "تخت"، وبهذا تحررت حركة الموال والموسيقي الفولكلورية المصرية من نير البشاق والموشحات وموسيقي الحجرة العثمانية وعادت إلي أوصولها التي أنبتتها بين بسطاء الفلاحين حيث،"جذور النباتات موصله بالإنسان" كما يقول الشاعر سمير عبد الباقي وهذا

توظيف جديد وخطير للعود يمكن من استثماره في المسرح الليريكي ( الأوبرا،الأوبريت، الخ) بدلا من اقتصاره علي موسيقي الحجرة الأستاتيكيه.

وكما دبت الحياة في عود وصاحبة دبت أيضا في الكوراس، الذي أمكن بذلك إخضاعه للتصميمات الكوريوجرافيه لفناني البالية والكورال في وقت واحد وقد أثبتت هذه التجربة أنها يمكن أن تكون بداية لشئ كبير، لو أضاف عدلي فخري إلي ما تعلمه في معهد الموسيقي الشرقية دراسة قوانين الهارمونية والكاونتيربوينت. أن أمامه أشياء كثيرة ينبغي آن يتعلمها من الموسيقي الأوربية الكلاسيكية والفولكلورية معا ليفجر بالتكنيك المركب مضامين جديدة للوجدان المصري.

لقد انتهي العرض ولم يسمع به إلا الأقلون، لأنه لم يعرض علي الجماهير العريضة في مسارح الدولة ولم يحتفل به أمثر النقاد في الصحف غالبا من باب التوجس لأنه ظل حبيبا داخل الجدران المركز الثقافي السوفيتي، ولم يعرض منه التليفزيون إلا أغنيتين، إما حفظا للشكل وإما نتيجة لاهتمام رشا مدينة التي رأته تسع مرات فاستقر في قلبها كما يستقر حب الوطن في كل قلب شريف.

حافظوا علي هذا العرض، فقد نحتاج إليه إذا تجدد القتال.

لويس عوض

# الـــطمى واحـــد .. والـشـــجر ألـــوان !

# ** كلمات الشاعر "سمير عبد الباقي" أبلغ في آلاف المقالات

# وأتمنى أن يسمعها أكثر عدد من الناس.. **

**هي أحداث قصائد للشاعر سمير عبد الباقي.. قال فيها كلمته النابعة من ضمير وطني وحس اجتماعي مرهف وعشق لتراب وحضارة وأهل هذا البلد.**

**عندما تقرأ مجموعة" الطمي واحد والشجر ألوان" تجد أن الشاعر وضع علي الورق أحلي الكلمات وأكثرها رقة وشفافية.. كل ما يختلج في صدورنا وكل همومنا وأحلامنا. انه لسان حال المصري العادي الذي تعذبه الأمنيات الطيبة ولا يبالي بالألم إذا كان الشوق إلي المستقبل يحتاج إلي التضحية:**

" الحزن بيعلمني لحن السهر والانكسار.. علمني كتم الألم وحبس الدموع.. وأنا..

أنا ياللي بأكره لافترا والخضوع.. عايش بأعلم نفسي .. عشق الوطن..!

**وفي قصيدة"بأمارة إيه" يعبر في بساطه عن كل المعاني التي تتطلب مقالات طويلة وشروحا مسهبة من أجل التعبير عنها .. انه يكثف ويركز حشدا هائلا من الأفكار في كلمات بسيطة واضحة تصل إلي القلب .. والعقل:**

بأمارة أيه؟

تعطي لنفسك حق ما هواش ليك..

ولا ليه عليك !ربنا خالقني علي صورته

مشرفني بعقلي ولساني .. وقال:

اقرأ .. فكر وعطاني الحق أختار ..

وأخترت..

بأمارة أيه؟

وأنت لحكمة ربنا إنسان زيي

وضعيف...

وبحكم طبيعته البشرية غلاط ..

كلنا أولاد تسعه يا خال..

من طين خالقنا المولي ..

وأنت مش من نور ولا نار

علشان تعطي لنفسك

حق تجادلني باسم السما

أو اسم النبي أو باسم الإسلام ..

وبتنزع مني الحق إني أرد عليك.

وأجادلك بالحق

لأ حرام ..

بأمارة أيه؟

مي أعطاك الحق انك تحكم بالكفر عليه..

أمتي كشف المولي ليك الغيب

والمجهول ...

**وعمق هذه القصائد وغيرها من قصائد سمير عبد الباقي ، الذي كانت كلماته في وقت من الأوقات من أجمل ما قيل عن سيناء، تكمن في إنها تخاطب أبسط الناس ويفهمها ويقتنع بها أبسط الناس ، فهذه القصائد أبلغ من آلاف المقالات والشروح " والقوافل" والندوات.**

**ولو كنت مكان المسئولين عن الإذاعة والتلفزيون .. لسارعت بإتاحة الفرصة أمام الشاعر" الذي علم نفسه عشق الوطن" لكي يستمتع إلي كلماته التي ترد لأبناء هذا الشعب الاعتبار لأنها تعرف كيف يمكن الدفاع عن حياة الناس وأمنياتهم بنفس القوة التي تتصدي بها لكل من يحاولون المساس بوحدة أبناء الوطن ويعبثون بمقدراته.**

**نبيل زكي**

●

# الإنســاني 00

## في أشعار

## سمـير عبد الباقي

عندما صدرت الكلمة الخصبة من الخالق ساعة تقدير، خلق العالم من بذور خالية، ومن صنعه الذي لم يكتمل أجاد وجهه، وبركلة احتقار قذف به إلي الفضاء، ثم عاد إلي ملكوته.

لامارتين

* خرجت البشرية من الطين والشعرة، وبشرود لا شعوري، سعي الإنسان – في الغابة – ليلقي حتفه في بداية كل خطوة يخطوها، وبعد أن تحايل علي الوحش ليوقعها في شباكه، كانت مخيلته قد بدأت في النمو والاتساع، فشعر أن القوة التي صنعت الغابات والوحوش والانهيار قد تخلت عنه بعد أن تركته وحيدا لهيما لذاته، وقلقة، حتى دخل في أطوار حفزته لتلبية حاجة النفس والطبيعة.

وقبل أن تصبح له حاجات روحية، كانت الحياة لا تزال تحبو وتشب علي قدميه، ثم دخل في أدوار وأطوار من حياته، أصبح يعتمد فيها علي قدرات وخدمات أبي الجماعة، والعشيرة. ورأس القبيلة، وبانصرام الزمن ، ألقي ذلك الإنسان نفسه لا يزال وحيدا، لم يخلف له ..... ذكريات من صور الكهانة المحركة والمتحكمة في مصائر الخلق، إلي جانب مجموعة كبيرة من طقوس الموت والميلاد، والختان، والزواج، وحكايات تدور حول النبوءات ، وحفنة من أقلام البوص،والأحبار.

عبر هذه المراحل، ظلت الحياة تسعي لإستقبال وليدها الجديد الذي سوف يشرئب بروحة حاملا الأقلام، والنبوءة، وبشارة الميلاد، حتى ..... من نطلق عليه بلغة العصر:"الثوري"، كرد فعل علي أعمال الغابة البشرية، وكمرآة لا تنعكس عليه هموم الإنسان فحسب، ولكنه أصبح يرود، ويرقص، بعد أن عرف كيف يأخذ الموقف ألباني صعودا نحو الشمس، يبذره سهر علي ربيعها، وتعهدها بالجهد والعرق لتبلغ في وجه الخالق أفاق الطموح الإنساني.

لذلك يمكن القول أن الإنسان هذا الزمن، حين حاول أن يرد الاعتبار إلي ذاته التي أخرسها غيلان الغابة ووحوش المجتمع، كان قد بدأ يخوض معارك جدلية إعادة بناء تصوراته في أشكال طموحة، لعله يوفق في اجتياز أسوار الغربة المصاحبة له منذ أن قذف به الخالق إلي الفضاء بركلة احتقار.

**من هذه التصورات ، وغيرها، خرجت جميع المعارف والقيم والشعر في تشكيلات أعادت الثقة إلي قواه الروحية والمادية، بحيث أصبح "إنساني" في مجتمع قادرا– دون الجماعة – علي المايز، بعطائه، وإشعاعاته،الأمر الذي لم يبسطه أن تستأثر به قبيلة، آو عشيرة أو طبقة في المجتمع،آو شريحة في طبقه وإنما اختص بذلك نوع من البشر ، كانوا رائيين، ومبشرين، وشعراء وثوارا.**

**وبسهولة، يمكن للمرء التعرف علي هؤلاء، خاصة وان بعضهم عاشوا في ظروف متباينة، والبعض منهم كانوا في صدر حياتهم يرفلون في أحضان الإقطاع، كما حدث في حياة"تولستوي" أدب روسيا العظيم أبان المرحلة التي ثار فيها علي أوضاع القيصرية، ووزع الكثير من أراضيه علي العبيد والأفنان من فلاحي بلاده.**

**لكن، ربما لاتعني مثل هذه المواقف بعض القوي المعاصرة علي إنسان سمير عبد الباقي قد حصل علي مفتاح العلاقات الاجتماعية، السليمة:**

لـن عمري ما لقيت إنسـان

يقدر في يوم الشدة يصلب حيله..

إلا وكان في الحق ويا الناس ..

بيشيل معا هم قد ما يشيلوا (9)"

**ويؤثر النضال بؤر الصراع في النفس ضد غربة الناس في الوطن وغربة الوطن في الناس، ويظل إنسان الشاعر سمير عبد الباقي جهير الصوت ضد المواجع ، وضد الثمالة بكؤوس الهزائم المفعمة بإغراءات الدولار، والرهبة الزائفة من بريق النجوم فوق أكتاف العساكر، ويبلغ خوفه علينا درجة التحذير والهداية:**

" فلاتا مـن لكابـات العساكر

إذا ما كرهوا صوت التعب يكبر

ولا تـأمن لكاهن أصـله تاجر

بنكاسات من ندور الـدم يسكر

ولا تضعف .. دا جوع الحكم كافر

إذا ما فكر الدولار .. ودبر

يبيع الأب ابنه عبده فاجر

ويشنق أخوه مادام القصر يعصر

ولعلا الضحكة فوق شفة أمريكا

ساعة ما يشق قلبك .. حد خنجر! (10)"

**قبل ذلك، لا ينس الإنسان الثوري إلا فصاح عن أمال وتمنياته للوطن والناس:**

" ينتمي حضن الوطن يبقي وسع المدى

وحرية للكل وسع الفضا (11)"

**من ثم، كان الهم السيطرة عليه – شأن أصحاب الرسالات – النظر في الحياة والواقع حتى تصبح " الحرية للكل وسع الفضا" برؤى ثورية عرفت كيف تنفذ من ربقة الواقع إلي ما وراء حدود الأفق، بحيث لا يصبح الخير والجمال والشراء والتقدم احتكار بيد أصحاب التروتستات أو من يتولون إدارة مشاريعهم في الدول الهذيلية، ودعاة الكوزموبوليتيه" العدمية".**

**لقد كانت هذه الأوضاع احد الأسباب التي حدت بشاعرنا أن ينشط في اتجاه المسرح مؤملا أن يحل إشكالية التناقض الاجتماعي بعيدا عن غنائه القصيدة الرومانسية.**

**وفي هذا العدد يقرر مصير:**

" كنت احلم به أفقا أكثر رحابة وعمقا أنجو إليه بشعري هربا من أسر القصيدة الغنائية .. ومن خلال مقولة دراسية ثورية ترتكز علي العلاقة الخالدة بين الشعر والمسرح والثورة، وبين الثورة والجماهير(12) "

**انه شاعر يعرف لماذا يكتب ولمن يكتب حيث يدفع الشخصيات والجزئيات بتكثيف يلف دلالاتها فيأطر أفنية غاية في البساطة، لا تخفي الفكرة الدعاويه لأنها محور المعالجة، كما أنها وهو يدفعها فوق المسرح تجيش بمشاعر الخير والحب، من خلال منظور اجتماعي، يعتبر الخير ثوريا، والحب ثوري، ومن يناهض الموقف الأستاتيكي إنسان ثوري.**

**هذه الرؤى ، لا يمكن أن يغذيها ويصقلها سوي المسرح الاشتراكي علي اعتبار انه بحكم تكوينه ونشأته يؤمن بدوره كفن جمعي تتضافر مختلف العناصر لإنجاحه، من إعداد، ونمر، وممثل، وإضاءة، وديكور، وخرج، وجمهور.**

**في هذا العدد أنشأ سمير العديد من المسرحيات والقصائد "الدرامية" منها: "كانت وعاشت مصر" حديث قدمتها جماعة الدراما بالقاهرة سنة 1974، وفي سنه 1976 قدم "النشيد الفقير عن بابلونيوردا"، وهي عمل درامي لم يهبط إلي السفح بموت الشاعر التشيلي العظيم، بل انه ارتفع بالكافة إلي دري التوحد مع صوت المغني:**

في الحزن خفيف أسايا ..

في البركان لي غطايا ..

وموته كان .. الهداية ! (13)"

**ويدفق الشعر فينا شلالات الحب، وعلي قدر ما كان مهمة صعبة إلا انه استطاع أن يزودنا بخاسة جمالية ظلت رناتهما اعتباراتها أصبحت جزءا من الأدبيات السياسية الكلاسيكية، وان ما أصبح في خبر كان، و يجب الأحد مما فيه حتى ولو كان إنسانيا بحثا(!!)**

**فعلام الدهشة إذا ولد معظم الناس دون أن يعرفوا الكثير من أوجه الخير فيهم؟ .. علي حين كان في كل جيل أديب، ومبدع، وشاعر تأججت أعمالهم بالثورة، ورغم أسجية لعنيهم والتضييق عليهم في العيش، فانه يمكن لمن يقصد أبواب المعرفة ويؤثر الناس بالحب التعرف بسهولة علي هؤلاء في " الزعيم" و"الكاتب"و"الشاعر"و"العامل" وغيرهم ممن يكونوا قد مروا بمراحل الاختبار والنضج مدافعين عن فرد، آو قضية عامة أو خاصة.**

**فمنذ أن خلق الإنسان الأدوات والمقاييس التي يزن بها أمور حياته، وهو دائم الحيرة والبحث حتى حاز علي العديد من وسائل العيش والكفاح ، من ذلك ، أداة الشعر كسلاح اجتماعي، حقق به قصب السبق في محيط الصراع القائم في الواقع الوطني، والقومي، والإنساني، وهو تطور في حلقات الإنسانية لا يكتب له الخلود إلا إذا امتلك الإنسان بادئ ذي بدء ثراء اللغة التي يفض بها مغاليق النفوس، وهو بصدد وضع أسس مدينته الصاعدة بروح المعايشة المنصهرة في محرك الحياة .**

**بفضل هذه الأدوات شبت البكارة والتزمير والإيماءات حتى تبلورت في صور وأشكال لغوية ..... علي شي الألسنة، وكان لثقافية الروح ورهافة الحس الإنساني دور حيوي في حيوي في تحويل شذي الألوان إلي عبق ومعني، أغطتنا اليقين بأن اللغة ليست سوي قالب نصب فيه مشاعرنا.**

**من ثم، اكتسب اللغة الشعبية والشعر الشعبي أهمية بالغة في تشكيل الوجدان، ولقد أدرك الشعراء الشعبيين قيمة هذه الرسالة عبر المعارك التي خاضوها، أو فرض عليهم أن يحصونها منذ أن ذكر ابن خلدون المتوفي سنه 1406م أن جمهرة المشتغلين بالأدب علي أيامه كانوا ينكرون العاميات لنبوها علي قواعد الصرف!**

**مع أننا إذا نظرنا إلي بساطة المقتنعة – الأعلى أصحاب الرسالات الوطنية والقومية والإنسانية – سنجد كيف استطاع شاعر العامية أن يحول " الشالي"و"الحلقات" إلي "واقع" يمخضه ويبلوره ذلك النوع من الشعر القادر علي التحريك والانفلات من حالات الدراما النفسي والاجتماعي.**

**ولا تعود أهمية هذا الشعر وازدهار إلي شيوعية بين الناس فحسب، بل لقيامه يخوض جميع المعارك الوطنية والاجتماعية، بالإضافة إلي مجاهدة النفس والواقع، ليكون أزميلا وفرشاة وفأسا ومطرقة وكتابا وقوتا للقوي، وتغريده حسب فوف الشفاه، وزخات ملمعه، وإرهاصة بالأيام السعيدة التي لم نعشها بعد، وقوة مادية وروحية تناهض إيقاعات النشاز الاجتماعي الهابط بحاسة التذوق الجمالي الذي انحرف من جزاء ..... الهابط بالفن.**

**علي هذا النحو، لايمكن لهذه الدله – ووجدها – والاضطلاع بالكشف عن مصادر الشعر، أو القيام ..... تحليل وعرض أعمال الشاعر سمير عبد الباقي، ولكن الأصل في اجتداب انتباه السادة المهتمين بحركة النقد والإبداع لا يزال يحدونا، خاصة ونحن إزاء شاعر تصادمي لا يقصر دوره علي تناول صوره الشعرية ونماذجه من الواقع، بل لاهتمامه الفائق بالعادة النظر في سوق شجرته الشعرية وجذعها وجذرها حتى ترتقي بنا لوحاته المدفوعة ..... من صيرورة" الألتزام" ذي الرؤى الإنسانية النابعة من قلوب المتعبين ونكري القلب.**

**من ذارات هذا الوجود ( المكان/الزمان) خرج إنسان سمير عبد الباقي ليمارس دوره في الحياة بعيدا عن التجريد والفانتازيا، لينجب المقولات الباطلة، وينتزع من الأذهان أطر السياسات الخاطئة التي وضعت وصورت الإنسان الثوري في هيئة مصاص الدماء والساعي إلي الاستحواذ علي مقدرات الآخرين، بينما الحقيقة أنه علي العكس مما يعتقد الكثيرون فهو الذي:**

سبقت خطاويه الزمن ..

الثوري آخر من ينام ..

وأول الناس الصدام ..

وفي المعارك والسلام..

**أمثال هذه الشخصية، لايمكن آن توجد في الحياة إلا إذا آخذت معه المجابهة، فهي ليست شخصية هروبية ولا متفيسه ، اعني أنها ليست من ذلك النوع الذي يغمض العين وهو بسلوك شاعبه تحت الضروس، أو يسمر بها إلي جاره .. حسب هذه الشخصية أنها جاء تعبيرا عن توق الأجداف إلي معني وقيمة، وهم وان كانت حياتهم قد خلت من المعاني، فان سنوات الجهر والانتظار تتلاشي مرارتها ما ذات الأيام سوف تمنحهم في النهاية – القدرة علي تحقيق الأمل:**

ولا معني انك تغني الشعر يا شاعر

إذا لم تكن أنت معني

وجدودك انتظروك (2)

**وفي هذا الصدد، لم ينس – وهو شاعر المعني والحلم المرتقب– أن يرفع أمام العيون شجرة إنسانية، وكأنه كان يجيب علي تساؤلاتنا:**

مين آنت يا شاعر؟! جدودي شيغليه

ومن رحيم الزمان الأبدي يتولدوا

وفغيم وعود الزمان الأبدي منتظرين

جدودي شجرة

وصخرة...

جدودي نبض الطيب (3)

**يتجلي بعد إخضرار الشجر ونبض الطين شراء المجتمع ده بفضل قيمة الشعر الذي لم ينبت في ظلال حياة الدعة واللهو، والخمول، فمن خلال الصورة المتحركة ينبض البعد الزماني والمكاني ، ومن رحم الغيمة، والصخرة( الخيال / الواقع) نكون قد اجتزنا بوابة الخوف من نفوسنا وقضينا بفضل الشعر علي نوازع وأسباب الضعف والأثرة في النفوس، بحيث نكون قد وضعنا أقدامنا بجدارة علي معلم من معالم الحضارة الإنسانية.**

**وكما فيل قديما لإنسان بغير شعر، كذلك قالوا لآحضارة بغير الإنسان، وذلك منذ أن هبط الشعر من فوق قمة جبال إلا ولهيب، وخروجه من وادي عبقر، وهو يمارس دور البناء الحائز علي أدوات اللغة التي لولا جهود، لما أصبح في مكنتها الكشف عن نوعية الربطة بين الخاصة والعامة، وبين التجريد والواقع، بما فيه من ثنائية التناقض حتى تصعد من أجنحة الضؤ، زئبقه وبشارة، وما فتئت ترينا كيف كانت ألوان الفرح حين خرجت من الطين وعرس الأرض وبهجة الفقراء، وعظمة الشعوب المناضلة ضد حقارة المدن المنهارة ومن بات السوس ينخر في أنيابهم:**

"في عالم تحكمه قوانين الغاب

أوعي تغلط لحظة .. أو تغفل

وتآمن لأصحاب الأنياب !!و(4)"

**لا يسمع الإنسان الذي تزجي إليه مثل هذه الخبرة إلا أن لا يتسلح بأساليب الوعي الاجتماعي، ليخرج من ثياب العادية، والرقابة، والمحيط، ويتنفس بروح الشاعر المنغمس في الواقع الذي يغلي كمرجل بشتى المشاعر والطموحات.**

**أن المتاح لأعمال الشاعر سمير عبد الباقي، يراه لا يرتدي أساليب ومضامين" التعبير عن الفن من الخارج"و"الفن بعيدا عن الحياة"، بل انه ظل يعتقد بأهمية" الفن الحياتي" ذي النبض المجنح الراسي إلي حل** المضلة **الصعبة بين " حاجة المجتمع، وضرورة الشعر"..**

**أما من أتيحت له فرصة نابعة حركة الشعر العامي في مصر وتطورها قد عرف إسرار المعارك التي خاضها ضد من يجيزوا للفردية حتى الادعاء بالإبداع، وكيف كان يتصدي لسفسطة هذه القوي، خاصة ادعي أشياع" الفردية" أنها – وحدها – مفجرة الحضارات وصانعة التاريخ، علي حين لم تزل العلوم والفنون تنخرج من رحم المجتمع الذي هو شكل ومحتوي يسبقان وجود "الفرد الدعي" و"الفرد صاحب الرسالة".**

**تحت هذه السماوات عرف الشاعر انه ولد لا ليغني لنفسه، وإنما ليغني مع الجماعة، ومن يطالع أو يستمع إلي أشعار سمير عبد الباقي يجزم أن هذا الشعر لا يستطيع صاحبه اعتاد بأنه مشروع اجتماعي فحسب.، وإنما هو عمل ينطوي علي الألم المخاض أوجاع الولادة، من اجل توظيف فروع المعارف ومختلف القوي، بما في ذلك شراب الآلهة، لخدمة الإنسان،**

" وأنا يا للي دقت خملا الإله مره

شمس"إلا وليصب" الفتيه

يتوج في دمي ..

وفوق لسان المغني صهلت الأشعار(5)"

**وتتصادي أصوات المواويل في بهجة ليل المحرومين حتى تتجاوب "الأشياء" مع الكائنات البشرية التي تعيش فوق هذه المساحة من الأرض علي أمل يلفح أنفاس الحب، من بداية الكون إلي منتهي الزمن الحالي، ولا تزال الأنفاس تنبت مع الريح، والأقدام الملصقة بلدين في خطوط**

**الغيطان الخصيبة التي لا تعطي للزارع سوي الجوع، ويستمر نبض التوق إلي "الجميل" والحنين إلي الالتصاق"بالإنساني" يستحوذ علي الوجدان عبر تداعي الكلمات الندرة بتنامي طاقة الشعر علي الغطاء المستمر:**

بحلم خطاوي تمد علي المهل

بأبواب مفتوحة علي الدراعين..

بقاعات عمرانه ..

دفيانه بصهد الناس(6)"

**وبتفرق الشاعر حليم الطويل تتبرعم فيه الورود تحت ظلال أرواح الرفاق الشفيقة:**

"يا رفاقه يا سلام

لما تفتح علي الدنيا البيان

لما ينفرد الغنا فوق الغيطان

والهوى ينعس في ضل السيسبان (7)"

**لكن سرعان ما يمضي زمن الحلم بعبق الرومانسية الثورية، بما فيه من موسيقا تداعب أنفاس البحر واتساع اتساع النجوم، لتدخل في رحابة الثورية الاجتماعية حيث تستنهض جوع الناس لتعبيد الطرق التي أو هنتها أقدام ظلت تتعثر في هلامية الآمال التدرعة بقوي الخيال فقط، وحتى تغص الساحة – اليوم – بالأمل والعمل، بفضل الحركة الشعرية المتفاعلة مع خلق وحدة إنسانية، بدونها، لن يجد الإنسان جدارا يحبه، ولا بذرة تمتد به صعودا نحو آفاق الحرية والأمن:**

"أطلق خيول أحلامك العصية

واجمع شتات أولادك الشقية

وشق صدر ضعفك القديم

لا تحتمي إلا بجموع الناس

تمتد بيك جدور طلوعك اللي جاي ..

في الزمن وفي المكان (8)"

**وبعدي عن الإغراق في الخيال والوهم، وتفتت الذات الجمعية بالنميمة والنفاق واللامبالاة وهلوسات الواقع، كان تتصادي مع وجيب النفس والمجتمع، لتوقظ في الإنسان روح الانتماء بقلب يذوب عشقا من أجلي "حته في بلدنا" :**

" قلبي يتحصر في حرقة ع الورق ..

وابل الريشة من عرقي ودمي ..

وأحس الكلمة ميت موال ..

وأحس كياني مال..

يبقي سلسال عرق سيال وميه ..

يروي حط في أرض ناشفة وجنيه ميه

في حنان يطفي اشتياقي ..

لحته طين مانيش عارف مكانها ..

وعنانها ..

قلبي يعشق كل حته في غيط بلدنا (14)

**وهكذا تتداخل دوائر الحب والانتماء، لتصنع ريشة الشاعر من العرق والدم نسفا جديدا لحياتنا التي أدرنها البلى بسبب تجريف العقل العصري ونزح موارد المجتمع.**

**عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل**

●

# أخر حدود الزجل

**سفر ضخم جمع فيه الشاعر الكبير سمير عبد الباقي شعره العامي، فقدم بذلك منظومة فنية وفكرية علي درجة عالية من الاتفاق والجمال، وجعلنا ونحن نتلقى هذا الإبداع نؤمن معه بان هذا الفن المصري أصيل أصالة الشعب، عريق عراقة حضارته، وانه ينسج من حروفه وألفاظه نسقه الفن وعالمه الشعر يكون رصع جبين العامية، واحتفي إليها مثلما فعل الشعراء النظام من أمثال بيرم التونسي، وبديع خيري ... وغيرهما.**

**واستطاع فن الزجل الذي خرج من طينة الأرض أن يصور الناس "الغلابة" وان يقف مهم، ويرصد حالتهم، ويعكس السخرية الدامعة، والمفارقة الفكرية المذهلة نظرتهم إلي البشر والحياة، وهي .. نظرة صادقة لأنها مغموسة في بحار الصدق، والأم الزمان..**

**" الزجل آهة الجراح، وقهقهة قبل الدبخ .. وزهزهة الفرح ".**

**والديوان ضخم، يقع في حوالي سبعمائة صفحة من القطع الكبير، مطبوع طباعة أنيقة .. علي ورق مصقول.. فتماثل الشكل مع ما يحتويه من جمال في الأداء، وتنوع في الموضوع بلغ حد الإشباع.**

**"والشاعر الكبير ينطلق في منظومة الشعرية من منطلق فكري لا يحيد عنه، ولا يستره أو يخفيه، فهو مع الإنسان، والعدل، والمساواة، وسواسيه البشر، ومشاركة الجميع"في الماء والهواء والكلأ"..**

**.. وإذا كان الشعر العامي الذي يزهو به هذا الديوان قد ساير هذه المنظومة وأسفر عن محتواها، مباشرة أحيانا، ألا انه الشاعر حرص الحرص كله آن يكون صادقا في تعبيره، ولفظه، وايقاعة وصورة، وتكويناته الكنائية التي تستجلب الرمز والدلالة.**

**ولأن الديوان من التنوع والثراء بما لا تكفيه تلك المساحة فان إطلالة سريعة علي الدفتر الثالث (رباعيات ابن عبد الباقي ..) توقفنا علي الفكر والجمال معا.**

**والرباعيات شكل متطور من أشكال الشعر، تحتفي بالتنوع، وتتسم تبقاير القافية، ونتابع الموسيقي، وبالنظرة العقلية التي تحكم الأبيات، وبالعاطفة الوجدانية التي تشكل الصورة، وتتسرب في ابنيه التراكيب، ومن ثم تصبح قادرة علي توصيل نظرات الشاعر في الكون والبشر والحياة،وأسس النظام العام.. والنقدات السياسية والاجتماعية..**

**والحب تنويعه علي إيقاعات متعددة، تكتشف عن رغبة دفنيه في مشق الحياة، وهو الحب الذي لا يفرط في القيمة ولا يسعي إلي الابتذال، حب امتجت فيه الأنا المحبة، بالأخر المحبوب، في ايطار مشتبك مع الأرض والوطن ومفرداته.**

**يقول في رباعية له:** النبت زى الورد ينفتح مياسمها.:

للعشق ماء الحياة تضحك مباسمها.

وراثيش سنيني ليالي الشيب بتتحسر

ويغرمني قصايد شوق محاسنها..

**وانظر إلي التجنيس الذي يشي بإيقاع صوتي واضح، والي الصورة الجميلة المبتكرة ( شش سنيني) .. التي توحي بانسلاخ الذات لتأمل تاريخها في موجهة وتساؤل.. وهو يجمع الهم الخاص والهم العام. هذا الهم الذي كلفه من حياته الكثير من الآلام .. وهو راض عما قدمه ..**

**يقول في رباعية أخري** : ياساقية الحب دوري وأرفقي بحالي .

صمتك حرمني الهوى بلبل هدوء بالي

لو مرة عن شط بحرك يرحلوا العسكر

ح اقنع بحالي وأشبع من قليل مالي ..

**انه حب يعلو الذات ويطمع في تفريشة تحيط الكل وري يتواصل حتي تستعيد الذات توازنها:**

**وتتجلي في الرباعيات نظرته الفلسفة إلي الكون والحياة، الموت والفناء، ومنظومات القيم التي تلتبس بفعل الزمان والبشر وتقلب الأهواء.. كما في رباعية ..**

الموت بياخد حقهم الأحياء.: والرمل قادر علي كافة بحور الماء

يامن شقيت، يتم غرف الورد وابتسم.: تشوف في ضحكة وليدك جوهر الأشياء..

**و..لعل الأنظار تتجه إلي ديوان فتعطيه حقه من الاهتمام .. لعل**

**محمد قطب**

●

## سمير عبد الباقى .. موال فى عشق الوطن والناس !

*هرب من كتاب القرية وهو صبى فألحقه أبوة بمدرسة ألشيخه للبنات!

# *دخل المعتقل لأول مرة عام 59 بسبب "صوت الفلاحين"

بقرية ميت سلسيل مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية ولد سمير عوض عبد الباقي في مارس **1939** في أسرة متوسطة الحال ، حيث كان الأب يعمل مدرسا ولدية وعي كاف بأهمية التعليم والثقافة ...وقبل أن يبلغ سمير عبد الباقي السن التي تؤهله للالتحاق بالمدرسة ، ألحقه أبوة بكتاب القرية ولكن طريقة التدريس بالكتاب وما تتضمنه من عنف وقسوة جعلت الطفل يهرب من سيدنا وكتابة ويصر على عدم العودة إليه ، مما دفع أباة إلى اصطحابه إلى مدرسة الشيخة للبنات حيث يعمل .

وبالفعل امضي سمير عبد الباقي عامين بهذه المدرسة حتى بلغ السادسة وانتقل للدراسة ، بمدرسة الجمالية الابتدائية ليحصل منها على الشهادة الابتدائية عام **1950** ، وخلال هذه الفترة ابتدآ سمير عبد الباقي تفوقا مدهشا لا سيما في مادة اللغة العربية مما آهلة ليكون احد أعضاء فريق التمثيل بالمدرسة ، وفي مكتبة آبية الأزهري وجد الطفل ضالته المنشودة ، فقرأ " ألف ليلة وليلة " وقصص الأنبياء وروايات تاريخ الإسلام وحياة محمد وغيرها من كتب كانت تزخر بها المكتبة ، ناهيك عن متابعته الدوؤب للمداحين والمنشدين والقوالين بقريته والقرى المجاورة ،الأمر الذي انعكس عليه بصورة ايجابية فكتب محاولته الشعرية الأولى ، وبعد حصوله على التوجيهية عام **1955** التحق بكلية الزراعة – جامعة عين شمس واجتذبه النشاط العام بالقرية ، فقد حدث أثناء العدوان الثلاثي على مدينة بور سعيد أن قام سمير عبد الباقي بتشكيل لجان لاستقبال المهجرين من المدينة والإشراف على سكنهم ورعايتهم ، واصدر مجلة حائط بالقرية كما قدم العديد من المسرحيات بأبسط الإمكانات المتاحة وبعد انتهاء العدوان وعودة هؤلاء المهجرين إلى مدينتهم كان قد حدث نوع من الوعي لدى أهلي القرية ترتب علية أجراء انتخابات حرة بجمعية القرية الزراعية جاءت بمجلس أدارة منتخب لأول مرة بمصر ، بعدها أصدرت في قريته مجلة ((صوت الفلاحين )) التي كان شعارها ((الأرض و الديمقراطية )) الأمر الذي أدى إلى اعتقاله عام **1959** حتى عام **1964** و في المعتقل نضجت موهبة سمير عبد الباقي الشعرية ونشر أولى قصائده بمجلة ((كروان )) وهي مجلة للأطفال كان يرأس تحريرها الكتب نعمان عاشور ، وبعد خروجه من المعتقل اصدر مجلتي حائط بالكلية التي كان يدرس فيها وهي كلية الزراعة – جامعة عين شمس ، بالإضافة إلى ممارسته الكتابة بعدد من مجلات الأطفال مثل ((كروان )) و ((سمير)) كما كان له الدور الأساسي في إصدار ملحق (( حكايات صباح الخير )) وكتب فيه أكثر من اثنتي عشر حكاية وشارك في تحرير بريد (صباح الخير ))ونادي الرسامين تحت إشراف الفنان حسن فؤاد .، وعقب العدوان وهزيمة **1967** انتقل سمير عبد الباقي إلى مدينة السويس رغب منه في الاشتراك في المقاومة الشعبية واصدر جريدتين هما : (( المقاومة الشعبية ))و((السويس الثقافية )) ونظم خلال الشهور التالية للهزيمة مع

بعض أبناء السويس سلسلة من المحاضرات والندوات الثقافية شارك فيها عدد كبير من الكتاب والأدباء والفنانين لرفع روح المقاومة وكذلك سلسلة من العروض السينمائية عن مقاومة شعوب العالم للاستعمار وكان ضمن مجموعة للمقاومة الشعبية تحت قيادة كابتن غزالي وشارك في فبراير 1968 في المظاهرات التي قامت احتجاجا على أحكام الطيران الهزيلة ودفاعا عن عمال حلوان مما أدى إلى اعتقاله لمدة شهرين وأفرج عنه بعد صدور بيان 30 مارس وخلال هذه السنوات مارس سمير عبد الباقي الكتابة بناط كبير ونشر العديد من الأعمال في الصحف والمجلات وفور تأسيس المكتبر الاستشاري لثقافة الطفل انتقل سمير عبد الباقي للعمل به وقد الكثير من البحوث حول مكتبات الأطفال وسينما الطفل كما اصدر العديد من الدواوين الشعرية وكتب الأطفال . بالإضافة إلى تأسيسه للفرقة المركزية لمسرح العرائس وتقديمه لمشروع ((مسارح للعرائس ولخيال الظل )) وهي تجربة مسرحية سهلة التركيب والنقل ومن الممكن تصنيعها وتوزيعها على أكثر من موقع مسرحي كما أسس مع اخرينت جماعة ((الدراما)) وهي جماعة مسرحية للهواة سعت لتأكيد قيم جمالية ودرامية مهمة في المسرح المصري بعيدا عن سيطرة البيروقراطية

ولقد قدمت جماعة الدراما عروض منها ((في حب مصر )) 1973 ، (( وكانت وعاشت مصر ))1974، ((وغنوه للحرب وغنوه للسلام )) 1974 وغيرها من مسرحيات أسهمت في صناعة وتشكيل الوجدان المصري . وفي عام 1977 وعقب أحداث 18 ،19 يناير اعتقل سمير عبد الباقي لمدة ثلاثة أشهر ، وخلال هذه الفترة كتب ديوانا شعريا نشرت معظم قصائده في جميع أنحاء الوطن العربي وكان لها صدى واسع ومن بين قصائد هذا الديوان ((أحزان ناصرية من عام الردة )) و ((رسائل إلى ليلى العامرية )) و (( يكبر الأطفال فجأة )) وفي عام 1981 انتقل سمير عبد الباقي للعمل بمجلة ((أسامة )) السورية وتنقل بين دمشق وبيروت وعمل في معظم المجلات العربية وأسس صفحة للأطفال بجريدة ((النداء)) اللبنانية وحرر ب\شكل يومي بابا بعنوان ((تحت القصف )) وبعد عودته بفترة تولى إدارة المركز الثقافي السوفيتي وعلى يديه تحول المركز إلى أهم مركز ثقافي بالقاهرة حيث شارك في أنظمته معظم الكتاب والفنانين المصريين على اختلاف اتجاهاتهم الفنية الفكرية ، فأقام العديد من الأمسيات الشعرية والمهرجانات الفنية . وبالرغم من نشاط سمير عبد الباقي في الكتابة الصحفية والأدبية ودورة التنويري الرائع في الوسط الثقافي يبقى الشعر هو همه الأكبر وقضيته الأولى فاختار شعر العامية حيث الارتباط بقضايا الشعب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فكان بمثابة شادي الفقراء والمحرومين واصدر عدة دواوين شعرية منها كتاب الشعر الأول 1991 ويضم عدة مجموعات شعرية منها " أراجيز العواجيز " و" فتافيت الناس والأيام " ، و " بروستوريكا بالعامية " ، و " مواويل البال الطويل " وكتاب الشعر الثاني 1995 ويضم مجموعات شعرية منها " أحزان الجميز الباط " و " ومن ميه المحياة لميه العفاريت " ، و " سلف ودين " بالإضافة إلى مجموعة بعنوان " دفاتر العامية المصرية" ويضم الدفتر الأول " رؤيا الحر الفقير لله النكدي الكفران " و " ليلة موت الحلواني اللي بني مصر " و يضم الدفتر الثاني " شكاوى الفلاح الغشيم " عن التمثال المحطم للزعيم السليم كما صدر عددا من القصائد المنفردة في طبعات شعبية منها " رسائل إلى ليلى العامرية " و " نبوت الغفير " و " لماذا تركت الجمار وحيدا " ومؤخرا اصدر أعمالة الكاملة في عدة مجلدات ومنها " عالم الخيال الجميل من كوكب الالفا لميت سلسيل

" آخر حدود الزجل إلى، والى جانب هذه التجربة الشعرية الثرية يصدر سمير عبد الباقي نشرة دورية تعني بالزجل بعنوان " شموخ الأراجوز " يقوم بكتابتها وإخراجها وتوزيعها بنفسه ...ولدى سمير عبد الباقي ولع مدهش بالمسرح منذ الطفولة فقد قام المسرحي أثناء دراسته الابتدائية وادي دور" الأمين " في مسرحية تحكي قصة بناء الكعبة ولأنه يعبر المسرح بمثابة الأب بالتمثيل الشرعي لجميع الفنون ويؤمن بدورة في التغيير إلى الأفضل ، فقد حرص على صقل موهبته وتنميتها بالدراسة ، فالتحق بالمعهد العالي للفنون المسرحية ، ثم النقد والأدب المسرحي وحصل على دبلوم الدراسات العليا بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف بعدها انغمس في الكتابة المسرحية وقدم للمكتبة العربية عددا كبيرا من المسرحيات المهمة محاولا إيجاد صيغة مسرحية ودرامية تخاطب الوجدان المصري منها "سيرة شحاتة سي اليزل " و " الليلة فنطزية" و " اقرأ الفاتحة للسلطان " و " سهرة ضحكة لقتل السندباد الحمال " والى جانب اهتمامه بالفن المسرحي كتب سمير عبد الباقي أيضا الرواية والقصة القصيرة والحكاية ، فصدر له " هكذا تكلمت الأحجار " رواية للكبار بالإضافة إلى عدد من القصص الدرامية الموجهة للأطفال منها " الببغاء المسحور " و " طائر البحر " و"صندوق الدنيا " كما كتب و أعد العديد من البرامج التلفزيونية للأطفال منها " حكايات ماما عليه" و "عصافير الجنة" و "مجلة الأطفال" والى جانب ذلك كتب السيناريو والحوار للعديد من المسلسلات التليفزيونية مثل " قرية البركة" و "حكايات ديك الجن العربي" و "هدهد الحكايات" ولقد فاز السيناريو الذي كتبه لفيلم "ليمونة المحاياة" عن حكاية فؤاد حداد بالجائزة الأولى في مهرجان سينما الأطفال عام 1992 كما شارك سمير عبد الباقي في الكتابة والتأسيس لعدة برامج إذاعية منها "العربي الصغير" و "أمس واليوم وغدا" و "مجلة الاشتراكي" و "كتاب في دقائق" إلى جانب ذلك شارك في تحرير معظم مجلات الأطفال العربية وقام بدور كبير في توجيهها نحو أدب راق للطفل العربي مثل مجلات سمير وكروان وأسامة وسعد وسامر والعربي الصغير وسدره وعلاء الدين ولقد تولى سمير عبد الباقي العديد من المناصب الإدارية بالثقافة الجماهيرية فاسند أليه مهمة أدارة نوادي الأطفال ، وإدارة الفرقة المركزية لمسرح العرائس ، وإدارة فرقة السامر المسرحية ، وإدارة الثقافة العامة ، والإدارة العامة لمنح التفرغ ، وخلال هذه الفترة قدم سمير عبد الباقي العديد من الدراسات والبحوث المهمة أثرت المكتبة العربية وأقامت منظومة علمية يمكن الإسناد في معالجة مشكلاتنا الثقافية مثل دراسته القيمة عن الظواهر الشعبية في المسرح المصري ، كذلك دراسته عن مرحلة الستينيات وأثرها في المسرح المصري، أيضا دراسته عن ثقافة طفل القرية والى جانب هذا الدور الوظيفي كان لسمير عبد الباقي علاقات وطيدة بالمنظمات والهيئات الأهلية ذات الصلة بالثقافة مثل جمعية ثقافة الطفل ، وجمعية اتيليه القاهرة ، واتحاد الكتاب ، وجمعية كتاب الأطفال العالمية وغيرها .. ليظل دوما مثقفا عضويا لا يعيش بمعزل عن الجماهير، بل يكرس موهبته وجهده من اجلهم مؤكدا انه موال في حب الوطن والناس على مدى عمره الذي شارف الخامسة والستين منذ أيام قلائل.

**السعداوي الكافوري**

●

# قـــــرأت
# دفـتـر نـمـرة تـسـعـة !

لا أعرف ما إذا كان الشاعر الكبير سمير عبد الباقي يقصد شيئا محددآ، ويود أن يبعث برسالة معينة، من وراء تلك العبارة التي يحفرها، في ختام ديوانه الأخير ... أم انه يراها شيئا عاديآ، لا يتوقف عنده أحد، زانه قالها هكذا ... عفو الخاطر؟!

إما اسم سمير عبد الباقي، في خارطة شعر العامية المصرية، فلا يمكن أن تخطئه العين، وهي تحصي الأعمدة الأساسية ، التي ترتكن إليها هذه الخارطة، وهي تعرض بضاعتها من الشعر، إمام الناس.

وأما اسم الديوان، فهو:نهنهات المشيب.. دفتر نمرة تسعة..

والمعني ، أن ثمانية دفاتر، من نفس النوع والحجم تقريبا، قد سبقته أل عشاق شعر العامية، وقراء عبد الباقي بشكل خاص.

أما الناشر، فلست أري اسما له علي الديوان، بل أن الشاعر قد ذكر في باطن الغلاف كلمة "الناشر" ثم ترك مابعدها فراغآ كبيرا، لعل القارئ يحس – لوحده – أن الشاعر قد اصدر الديوان علي نفقته الخاصة .. أنه لم يجد ناشرا يتحمس لإصدار ديوان لشاعر كبير، فضلا عن من نقول، أن هذا الفن من الكلام ، اقصد شعر العامية، له أجماهيره التي تحبه، وتسعي إليه، وتتشوق إلي سماعه ، –بعد إن يحصي مؤلفاته ودواوينه الكثيرة – .. يقول :كل هذه الإصدارات، فيما عدا مانوه عنه، صدرت بالجهد الشخصي للشاعر وبعض أصدقائه!

**وعندما تستعرض الدواوين التي نوه عنها الشاعر، علي آن لها ناشرا، قليلة جدا .. أما سائر دواوينه ومؤلفاته، فلقد شقت طريقها إلي القراء، بالجهد الشخصي له، وبعض أصدقائه.**

**وعندما لايجد شاعر، في حجم سمير عبد الباقي، ناشرا جاهزا، ومتحمسا لأعماله فمعني هذا أن هناك خللا كبيرا في حياتنا الثقافية، وفي عالم النشر والثقافة، بمعناها العالم، وأن سمير عبد الباقي، وغيره ممن يملكون كبرياءه وترفعه، يحتاجون إلي آن يكونوا من أصحاب " الثلاث ورقات" حتي ينشروا، وينعموا بعائد النشر معآ... فان لم يفعلوا فينشروا علي نفقتهم الخاصة .. إذا استطاعوا!**

**أنني، رغم رفضي الكامل، للكتابة بالعامية، نثرا، آلا أنني أري أن التعبير بها، شعراء، مسألة أخري آذ أنها، في هذه الحالة، حاله التعبير بها شعرآ، لها جاذبيتها الخاصة جدا، التي تشد جماهير الشعر ، إلي لغته شدآ، وتصل برسالة الشاعر إليه، من أقصر الطريق .. وربما أجمل طريق أيضا!**

**يقول سمير عبد الباقي، في واحدة من مقاطع الديوان :**

تصهلل الحرب

وسلاحك مالوش في الضرب

وساعات تعمر سلاحك

ولا تقوم الحرب

يالي رفعت السما

من غير ولا عمدان

أوهبني قدرة نبني

واسندني يوم الكرب

طمعان في ومضة أمل

من معجزات الرب!

**ولأمر ما، أحسست آن هذه الأمنية الأخيرة، التي يتمناها الشاعر من الله،ليست مقصورة عليه، وإنما هي نوع من التضرع العام، الذي تراه متجسداً علي كل لسان، في لحظتنا هذه،التي هي من أحرج اللحظات!**

**سليمان جودة**

●

# نهنهات سمير عبد الباقي

* ملخت جدري من الوطن بشويش

قلت : بلا عيله بلا مهنه شقا ...بلا جيش

الأرض بارت صبح حلف الزعيم ازعم

وأنا أنكتب لي العيش عبد لرغيف العيش

هذا هو أخي الشاعر الكبير "سمير عبد الباقي " ينوح تحت أطلال حلم التهم الأعمار والأفكار والطموحات وخلف الألم والحسرة ودقيق الوهم وتراب الحريق....وساوى بين البطولة والعمالة والبيع الشراء.

ينعي " سمير عبد الباقي " ذلك الأمل الذي تظاهر من أجله وأضاع السنين في المعتقلات بحثا عن غد كان بعد مدة يد .... لم تقبض هذه اليد منه إلا على وهمة ، لتكتشف أن ما تراءى لنا كان سرابا أسود – حتى على عكس السرابات جميعا!!

أن ديوان " نهنهات المشيب " لسمير عبد الباقي نواح من نوع فريد على إطلال الصفوف التي تحولت إلى فلول ممزقة، والأبطال الذين صافتهم الحروب ونضجوا على نيران المعارك وهم يذبذبون الذباب عن جلواهم الرخيصة في السوق القذرة

**...أن " نهنهات سمير عبد الباقي " هي بصمة الإصبع على عريضة التجربة التي يضعها تحت عنوان الوطن خوفا من رحيل مفاجئ .**

**شعر موزون مقفى أشبه بمواويل تعتصر ويعتصرها الحزن !!**

باكتب حلاوة روح بأمر طبيب

عشمي في هواك وزني ، ولا من مجيب

كل المشاوير خدتني لقبل بداياتها

والعمر منزوف دما

على قبر أول حبيب

ما طرحش بستان هواك غير نهنهات المشيب

**عبد الرحمن الأبنودي**

●

# الـشـاعـر الـصـابـر

**شاعرنا الكبير"سمير عبد الباقي" شاعر عامية كبير، أكثرنا إصدارا. لكن الزمن تآمر عليه ليس بأكثر ما تآمر هو علي نفسه فساهم في ظلمه !!**

**هو من جيلنا– جيل الستينيات – لكنه أصر علي انه سبقنا. ذلك لأنه سجن عام 1959 أي قبل إن نفد إلي القاهرة، ولأنه سجن مع الشاعر الكبير سنا ومقاما"فؤاد حداد" فاعتبر انه ينتمي إليه أكثر مما ينتمي إلينا. فؤاد حداد له ضوء يخطف البصر فلا تري من يجاوره، وله تأثير علي مريديه وأحبابه حيث يبطلك إذا كنت شاعرا، تظل تدور في فلكه ورؤاه ولغته. كان تأثير فؤاد حداد علي سمير عبد الباقي طاغيا إذ ربيا في بيئة سياسية واحدة ورفعا نفس الشعارات وتقاسما نفس التجربة ونفس السجن، بل كأن عبد الباقي سجن مع شعر فؤاد حداد في زنزانة واحدة.**

**لم يلق بالا إلي تأثيرات حداد علية وظل صامدا يقول. لم يكن بقادر علي كبح جماح القول. وترويضه فكنا نطلق عليه "شاعر الطولات" هكذا وقع سمير قي المسافة بين عنب اليمن وحرير الشام فظلم !!**

**هو رجل المواقف والمودة الدائمة.. يتهمك الآخرون فلا ينجاز إليهم. يعرف – من واقع تجربته السياسية والحياتيه – والأدبية – معادن الناس فلا يخطئ في ذلك أبدا مهما أخطأت جماعته!! حين انشر شيئا يعجبه أو لا يعجبه لابد أن يهاتفني بشجاعة المحب وقراءة المنتمي.**

**تلهث خلفه في قصائده ما أن تمسك بجلبابه حتي ينفلت ما أن تمسك بجلبابه حتي ينفلت منك في زحام القول حتي لننسي كثيرا أن نورد اسمه في طابورنا لكثيرة ما سلحنا بيه من أسباب!! خاض رحلة شعرية حافلة كأنه لم يتوقف يوما عن الصدح والإنشاد.**

**أخيرا وقع في يدي ديوانه الأخير ( مساحات للتعب، مسافات للعشق ) ورغم أن الاسم ( الحداثي ) يضع غلالة بينك وبين فكرة أن هذا ديوان بالعامية المصرية، إلا انك وبمجرد القراءة تكتشف أن (سمير عبد الباقي) استدل علي روحة الخاصة، ولغته الخاصة، يكتب ذاته، وهزيمة الأحلام القديمة، احباطات الفرسان النبلاء في أسواق البيع والشراء، وكأنه ينفض جلبابه مما علق به تراب الجلوس وشبهة المساومة. ينظر خلفه متألما متأملا مساحات التعب لينفرد بنفسه يغني لحظات يستحلب فيها ذكرياته تحت**

**شجره مهملة ليخلق من الحظات مسافات لعشه رغم مجانيته وعبثه.يستحلب القديم الذي لم يعد منه إلا ثمة أطياف كما يتحلب المدمن فص أفيونه النقي ليخلق أطيافه التي تؤنسه في وحشه هذه الحياة.**

كل يوم الصبح هكتبلك

قصيدة...

مش أكيد حتكون جديدة

كل أحزاني وأحزانك قديمة

كل أحلامنا البعيدة

لسه .. مازلت بعيدة

**تتراقص أشباح الماضي في صورة أشباه الحاضر، وقد عاد الصياد من رحلته المريرة مع البحر الهائج خالي الشبكة مقلوب القفه علي شفتيه بسمة تجسد كل خيبة الحياة وعبثها لا يدرك المسافة بين الحب والفرح ولا يفهم المساحة البلهاء بين التعب والعشق!**

وفردت لك صدري

عجزت ليه .. بدري

وهجرت أبوك لما برك مهدود؟

نخ الجمل ...

من غير خجل سبته

لا رحمته من نفسه ولا فطمته

.. بسبب خيبته

ولا يأس أنقذته

ووهبت له عمر تاني جديد ...

وقتلته!!

**تحية إلي الشاعر الصابر المثابر صديقي ( سمير عبد الباقي) !!**

●

# بساتين الزجالين

سمير عبد الباقي ...

**يظل صمود شاعرنا المخضرم مدعاة للإعجاب ، كلما ضاقت به سبل النشر ، وتنكر له رفاقه الذي أفنى العمر في الكفاح معهم ، كلما هزم اليأس وابتكر طرقا جديدة للمقاومة والمواصلة ، وها هو يصدر مجموعة من " الشكشكات " الشعرية السياسية على غرار " المسلة " و " المسامير " و"التنكيت والتبكيت " يدلي عبرها بأقواله وشهاداته ومسيرته وعصره . إخترنا له هذه المشاهد الحياتية عم المرأة المصرية الشعبية المكافحة، وربما كانت المقطوعة الوحيدة القابلة للنشر.**

**الأبنودي ----------**

**تلات مشاهد من رصيف مصري**

محلاك يا مسكينة وأنتي راجعة مبسوطة ...

بـ" الألف عيش " [1] والكرنبة وشروة القوطة

من بعد غلب الميكروباص ...والشغل

ح تربطي البيت بضحكه ولو زغنطوطة !!

وأنتي في ليلك نهارك جته مشموطة !!

***

أستاذة في التفصيص وفي "التقوير"[2]

على الرصيف فاتحة معهد فني للتقشير

كوسة ... بدنجان ... بسلة ..ف أيدها زى الفيلم

لو كان هناك علم كان تبقى وزير تصدير

آخر سلالة عمار أرضك يامصر ...بخير !!!

( ما ألذة طبق الفول على الصبيحة)

---

[1] - عدد الأرغفة القليلة يطلق عليه ألف

[2]- يقصد بإخلاء الكوسة أو الباذنجان مما بداخلها استعداد للحشو بالأرز

بالبصلة والفلفل مع صحبة (العربية[3])

من غير ميعاد اجتماعنا الكل شبه الكل

حا يكون صباح فل كيف من غير ملاغية ؟

فين ما تولوا وجوهكم .. ثم طبلية !!

# عبد الرحمن أبو عوف

# سمير عبد الباقي حول شعرية العامية

# إلى حديقة عامة يملكها كل المصريين

**في السبعينات الكئيبة وانقلاب الثورة المضادة . بقيادة السادات على المشروع الناصري للنهضة والاعتراف بإسرائيل والصلح معها ، ومن ثم اندلعت معارضة المثقفين والقوى الوطنية لهذا الصلح ، ومن أعماق العتامة والمناخ الملوث القاتم الذي إفرزته الثورة المضادة ...بدأ يتشكل جيل السبعينات وكان شعر العامية المصرية الصوت النبيل لهذا الجيل يقدم قصيدة ولغة شعرية وعروضا وأوزانا وإيقاعات تعكس مدى الإحباط وانكسار الحلم وغياب العصر البطولي لعبد الناصر .. ولعل سمير عبد الباقي في طليعة أسواق الشعر العامي في العقود الثلاثة الأخيرة وأكثرهم عطاء ودأبا على الإبداع المتجدد وقد واجه سمير عبد الباقي مع جيله بنبل وشجاعة انتحارية الصدام مع السلطة وطوال أعوام الثورة والغضب من مايو 1971 إلى أكتوبر 1981**

[3]- يقصد به عربة الفول المدمس

انخراط في المظاهرات الطلابية والعمالية وعانى الاعتقال والمطاردة والبطالة واختناقات حرية التعبير والنشر وكانت القصيدة الدرامية الملحمية في "حب مصر" إعلان ميلاد الشاعر في أتون تصاعد المد الثوري للحركة الوطنية الديمقراطية ، حيث توحد والتحم الشعر مع الأداء والإنشاد الاوبرالي المهيب لمغني الثورة والتمرد على الاستلاب والقهر الراحل النبيل عدلي فخري.

حيث كان يصرخ من أعماق أعماقه منبها الغافلين فاضحا المتخاذلين لاعنا الخونة والمتآمرين.. لسنوات وسنوات ملآ قاعات الجامعة وساحات القرى والمعسكرات والبيوت والمسارح المتاحة ، الكلمة اللي ما تبقى رصاص ملعونة وخاينة.

(أتذكر وأنت بتقفل بابك لجل تنام متطمن كل مساء .. إن الألوفات في نفس الساعة بتموت م الجوع آو تحت نابالم الطيارات الأمريكية).

كان يرددها خلفه ألوف الطلبة والعمال والناس البسطاء والفلاحون وأيضا المثقفين (المتناسين) والفلاحون وأيضا المثقفين (المتناسين) الآن تلك الأيام المجيدة حينما كان لكل شئ معناه (وليس بما معناه) وحيث لم يكن الوضوح جريمة ولم تكن البساطة والبراءة عارا ولا التواصل سطحية وتخلفا .. وحين كان للوطن حدود – لا على الخريطة .. ولكن في القلب رغم الغرباء وكان الغناء فعلا جميلا وموقفا والفن أملا من لحم ودم وعشقا ينتصر على كل هزيمة قبل آن تتسطح دماء الأمل هدرا على مذبح الوهم الجديد.

غير آن عدلي فخري بدأ ينسحب من الحياة بعد الانسحاب الثالث الكبير من بيروت وخروج المقاومة الفلسطينية من أرضها في عزبة إلى تونس.

وبرحيله تاركا الشاعر سمير عبد الباقي في وحدة يسبح ضد التيار وينشد الأشعار في زمن المهادنة والتراجع وسقوط الرفاق في منتصف الطريق وتبدد الأحلام وحصار كبرياء المثقف الثوري في مراحل تراجع وحصار وتحلل القطب الشيوعي وانحسار الثورة العالمية وهيمنة أمريكا على مقدرات الشعوب واحتلال أفغانستان وبغداد قلعة الأسود وانتهاك الإسلام والعرب وتبعيتهم الذليلة للسيد الجديد وتفشي الفساد والقهر والاستلاب والزيف واللامبالاة بنضالات شعبنا وحكم السماسرة والكومباردو وتخالف السلطة مع الثروة والأعلام في ثالوث وثني يحكم الشعب ويهمش المثقفين المستقلين وإفلاس نظام الحكم وترهله وسط هذا الحصار المعتم يرتفع صوت الشاعر بشجن ثوري حزين ومهيب وكما قلنا في البداية فعطاء وانجاز سمير عبد الباقي شاسع ومتعدد المحاور والرؤى والصياغات والأشكال.

ولكن القارئ لبعض هذه الأعمال يجد أحيانا تكرارا واهتماما بالكم دون الكيف في اختيار المعاني وتناول شعري يكتفي بالآن اللحظي دون الأبدي وبالجزئي دون الكلي.

غير آن الشاعر وقد استوعب دروس الأجداد والآباء العظام النديم وبيرم التونسي وفؤاد حداد وصلاح جاهين فقد خلق شكلا متميزا لتناول كل الظواهر السياسية المحتقنة في الآن وجعل من اليومي والحياتي اللحظي المنفجر بالبؤس والغضب إلى صور كاريكاتورية ساخرة وحكيمة في إصدار جريدة شهرية يقوم بتحريرها كلها بنفسه أو يستضيف شعراء جددا عنوانها "شمروخ الأراجوز" وهي (شكشكة شعرية غير دورية بالفصحى والعامية) شعارها (لا يحق لنا ما لا يحق لأهلنا) أنها نشرة شعرية على قد الحال لا جريدة ولا حتى مجلة ومستقلة عن آي حزب وآي ملة في عدد **27** رباعية وربع عنوانها حكمة شبه شعبية يقول : من باع ولو غالي يرخص نفس وبضاعة فلا تأمنوا الكراسي – السلطة خداعة واللي كبش ناره بأيده لابد ما يصرخ للكذب عمرين لكن الحق له ساعة.

لقد أمم سمير عبد الباقي الشعر العامي وجعله حديقة عامة يدخلها جميع المواطنين ، ومطرا يسقط على جميع النوافذ واخترع لنفسه لغة خاصة به تقترب من الموال لقد اتجه بشعره إلى جميع الطبقات كاسرا بذلك طبقية الثقافة والاحتكارات الإقطاعية والبرجوازية للشعر بحيث أصبح الشعر على يديه خبزا يوميا وقماشا شعبيا يرتديه **72**مليونا.

# تجربة فريدة لشاعر لا يحوز رضا الأنظمة السياسية والمنظمات الأدبية !

لا حقوق محفوظة للمؤلف . ولا ديون عليه !! هكذا كتب الشاعر سمير عبد الباقي على غلاف كتابه الأخير ، الذي صدر بعنوان "كتاب الشعر" ليضم عشرة دواوين من إشعار العامية التي أبدعها سمير عبد الباقي.

والمؤلف ليست له حقوق محفوظة، وليس مدينا، لأنه طبع أعماله العشرة هذه بتجربة فريدة غير مسبوقة ! فقد جمع من أصدقائه مبلغا من المال ، كل واحد دفع 50 أو 100 جنيه ، أو أكثر أو أقل ، حسب مقدرته ولما توافر للشاعر عبد الباقي ما يكفي لطبع هذه الدواوين العشرة طبعها على نفقته الخاصة ونفقة أصدقائه وكفى الله الشعراء المخلصين للشعر شر الناشرين الذين لا يتهافتون إلا على كتب الجنس والدين وليس أي دين ثم السياسة:

سمير عبد الباقي بادر وقدم نفسه فقال : انه اخرج ومثل وأفتى واعتقل وارتحل في بلاد الخلق ولم يعذبه في حياته سوى اكتشافه أكاذيب بعض الأصدقاء بعد فوات الأوان !! وانه يتغذى على التفاؤل ويتنفس الأحلام ولذلك اتخذه الكثيرون عدوا بلا مبرر!

## لا جائزة ولا رضا !

ويعترف : لم أنل جائزة أو رضا من الأنظمة السياسية أو المنظمات الأدبية رسمية كانت أو غير رسمية ولذلك حافظت على عفتي الشعرية وأمنت بقوة أن جائزة الشاعر الوحيدة هي أن يستمر في الغناء للإنسان وللوطن وللغد في حرية حتى الموت .. وكل ما عدا ذلك باطل وقبض الريح!

الدواوين العشرة هي : أراجيز – فتافيت الناس والأيام – بريسرويكا بالعامية – كلام بسيط في السياسة – أراجيز الأراجوز – رد الفعل – مختارات من جنينه الأطفال – كلام حزين في الفن – مواويل البال الطويل – واحد احد من المحيط للأبد ، ثم دراسة عن أعمال الشاعر بقلم الناقد إبراهيم فتحي ومقدمة للشاعر بعناون : لا مقدمة!!

**يغني الشارع .. أو ينوح .. لا فرق : الترعة ما بتكدبش ع الأشجار. لكن كلام الكتب ولف على الخسة ، كل الحروف أتعلمت تبهت.**

وتغير الحبر حسب الوقت والحصة!

المرحلة بتاعتي !

وعلى لسان احدهم يسخر فيقول أو يخطب :

المجد ده لعبتي

والحكم ده هوايتي

هتلر ، موسوليني ، عيدي أمين ولاد خالتي

وفي صغر سني وأنا بارضع لبن مامتي

حلمت يارب خير والرؤيا مذكورة

في السنة والسيرة

قصر الكلام المرحلة بتاعتي !

**باختصار في هذه الدواوين العشرة ، تشم رائحة مصر ، وتعانق بساطة الشاعر وقناعة الفلاح وصوفية الزاهد وأصالة هذه الأرض وطيبة أهل مصر الذين هم في الريف والحارة والقرية.**

**سليمان جودة**

# سمير عبد الباقى - شاعر العاشقين

**إن الجميل في الشعر انه اكتشاف – سر ما في الدنيا والأرضين – من اختلاف وائتلاف – من انتماء وانتهاز – من ابتسام واحتدام – سر افتراء الديابة ورهبة الخواف – سر الثبات العفي وهشاشة الاهتزاز.**

**فالزمن الشعري ضارب الجذور في إيقاع حركة العالم وعلى الرغم من كل ما في الواقع ودخيلة الذات من تناحر فالانطباع الكلي للإشعار لا يبدد العالم في غبار من الوقائع المعتمة الشائكة الهائمة على وجهها ولا يفجر الذات إلى تجارب تفتقد الترابط.**

**هكذا يقدم لنا الناقد المبدع إبراهيم فتحي "كتاب الشعر" للشاعر سمير عبد الباقي ويضم عشر مجموعات شعرية بالعامية المصرية.**

**وهذه المجموعة يقدمها الشاعر في وجهه أدعياء الاشتراكية وأعداء الفن والشعر من أنصاف الموهوبين والأغبياء الذين استحلوا الوطنية والقومية والتقدمية واستحلبوها عطايا وامتيازات واستخدموا الحلم والفن للمزايا واللذات.**

**وربما كان تقديم الشاعر لمجموعته يحمل بعض المرارة ألا إن الشاعر محق في كثير مما يحمله فقد ظل سمير عبد الباقي يبدع أكثر من ثلاثين عاما واخرج وأفتى وقرأ واعتقل وارتحل في بلاد الخلق كتب القصة والمسرحية والقصة والرواية وكتابات للأطفال ولكن الحركة النقدية لم تقترب من إعماله اقترابا مرضيا. ربما كان التزامه السياسي الواضح سببا في ذلك الحصار. وربما كان المناخ غير الصحي الذي تعيشه الثقافة بوجه عام.**

**يقول الشاعر سمير عبد الباقي في قصيدته العذبة "الحزن زاد اليتامى" :الحزن ملح القصيدة لازم لصدق الشعور.**

أنا من طفولتي السعيدة

وأنا شاعر العاشقين

**لذا في عرف البلاغة ريقي مش طيب لا لين الجانب .. ولا قريب ولا لفايا لطيف ولا قعدتي برحه، وعند بعض الصحاب والشعرا والمخبرين**

لا طلعتي شرحة ولا هوايا خفيف ربما كان ذلك هو السبب الثالث وراء تجاهل هذا الشاعر الكبير والموهوب أيضا.

●

# سمير عبد الباقي منشد على ناصية الوطن

حينما تشكل شخصية المبدع بهموم الوطن وقضاياه فان الإصرار على الاستمرار والإشعال الدائم للإرادة يتحولان إلى فعل اعتيادي متلازم مع الأنفاس ، تكتسب معه الشخصية التجرد والتفرد والترفع عن المسايرة التي تتعارض مع إيمانه ومصداقية مواقفه ، وكما رأينا في " بيرم التونسي " وصلا إلى " احمد فؤاد حداد نجم " نرى أيضا في سمير عبد الباقي لا يكف عن إن يكون شاعر ومثقف وعضو على الرغم من تقدم العمر ومعاناة السنين التي حملتها القصيدة مواجهة كل صنوف الظلم والبغي والاجتراء على إنسانية الإنسان ، بل أن دور المبدع عند سمير عبد الباقي تجاوز دور الشاعر إلى رسالة المثقف الذي يجب أن يتواجد في بوتقة الفعل الواقعي ، فكان الانخراط في الحياة السياسية ودخول المعتقل ومواجهة كل صنوف العنت مع رفاقه من المثقفين ، ذلك لأنه واحد من أبناء الطبقة الوسطى التي ظلت مرآة للوطن طوال القرن العشرين ،قبل أن يتداعى البناء الاجتماعي إمام غول الانتهازية والطفيلية التي عادت لتحدد توجهات المجتمع في إطار التفسخ سمح لكل التجاوزات الفاسدة أن تتواجد .

وقد جاءت صورة شمروخ الأراجوز لكي يبث الشاعر سمير عبد الباقي من خلاله مواجهاته الشعرية لكل أشكال الفساد ورموزه الكبرى ، فلم يتردد لحظة في تحويل القصة إلى منشور سياسي مناهض لكل بجاحات القمع والبطش والديكتاتورية التي توحشت وأحكمت قبضتها على روح الوطن أحياء للمدرسة البيرمية وهنا نتوقف مع دفتره السادس في إطار سلسلة دفاتر

**العامية التي جاوزت اثنا عشر دفتر وهو ديوان ( شكشكة على سبيل الفزلكة ) 1996 عن الإحساس القاسي بالغربة يقول الشاعر :**

ياما نفسي يا ضي عيني

يا بلدنا

تسمعيني

ومن حضني اتأخدتي

مرة في حضنك خديني ص6

**أما عن الإنسان البسيط فيرى الشاعر أن حياته معلقة بين استحكامات السلطة العربية ، فهو الذي يحارب ويدفع الثمن لكن ثمار الانتصار تعطف القاعدون في الغرف المكيفة على الكراسي الوثيرة.**

يدقوا طبل الحروب اشرب لهاليبها

يعلوا مدن السلام اسكن سراديبها

بعد الجمال والوبر طاروا بألف جناح

تماسيح وأشباح

يفتوها خردة

ص 7 وأنا اللي اكنس كراكيبها ..

**وهنا يبتدي الحضور البيرمي بقوة .... إما ما جرى من إهدار كل شئ وتحول في المفاهيم والتوجه فيقول الشاعر:**

حل الزمان اللي فيه العاشقين خابوا

وكل واحد رضي من الهم ... بمنابه

اللي افتروا عابوا

واللي اشتروا البال بجاه المال و بحسابه

نصروا الشتاع الوطن واتدفوا بابوابه ص 24

**في ديوان "غنوه أخرى لبرمهات" يرى في أول قصيدة في الديوانان ( الشعر شجر الحياة ) فيقول:-**

الشعر في مذهبي أشجار بلا أسماء

في الأرض حلم نبضو في ألجوه انتشر

يعطي القمر حق في حضن الليالي يدور

للشمس حق على الظلال والنور

وللبشر حق يخطف قلبهم عصفور

مسحور يعطر الزهور

عارف أسامي وأغنيات الشجر

مخاوف قلب الطفل والعشاق

**وفي هذا الديوان الصادر عن كتاب المرسم الذي يشرف عليه الشاعر والفنان التشكيلي ( احمد الجنايني ) تتألق القصائد بوطنيتها وهي تجري في نهر البساطة القائمة علي التأمل والحوار مع الإنسان عن الهموم العامة والخاصة وتظل حكمة الشاعر مقيمة لرؤية القصيدة .**

**وقد تمثل الجوهر الممتد للوطن في ( ميت سلسيل ) العشق والموال بامتداد كل هذا العمر .**

**بينما يظل صوت سمير عبد الباقي يصد بقصيدة المجابهة عبر عشرات الدواوين والدفاتر الشعرية فصحى وعامية وقصيدة الدراما المسرحية ، ناهيك عن هذا الشاعر السياسي المفكر الساخر اللاذع لكي يقدم العديد من المجموعات الشعرية للأطفال إضافة إلى النثر متمثلا في أدب السيرة الذاتية الذي تحول منجزه إلى صيغة نابضة لدراما الحياة المصرية والعربية .**

**أما في ديوانه ( مساحات للتعب مسافات للعشق ) الصادر عن سلسلة أصوات أدبية بالهيئة العامة لقصور الثقافة فتصل فيه القصيدة بعد هذا المشوار الطويل إلى مرحلة الصفاء للصوت والرؤية ، حيث بلغت اللغة ذروة العفوية والباساطو زان ظل**

**الحزن والشجن وتباعد المسافات ماثلا وممتدا إمام العين ، كان المشوار ما يزال بعد كل هذه السنين في بداياته وهو ما جاء في قصيدة ( طير مغني عجوز ) حيث يقول :-**

كل يوم الصبح ح اكتب لك قصيدة

مش أكيد تكون جديدة

كل أحزاني وأحزانك قديمة

كل أحلامنا البعيدة

لسه ما زالت بعيدة

**وهذا الحزن المشترك يتجسد في هذا الأرق الذي تتسع معه مساحات التعب من حياة تتخذ في الغش منهجا لتوجهاتها بفعل حالة التداعي التي فرضتها فهلوة منظومة النهب الجيدة ، فكانت قصيدة ( المرايات ) صيغة للمكاشفة الشعرية .**

كل مرايات الخلق كدابة

تكبرك مرتين وتصغر بيك

براويزها شيش شبابيك – ومن بره

عيره ومدهون بدهب مغشوش

أن قل خيرك

ح تلعن خاش خطوط سيرك ....

تشرب وتغسل رجلها في بيرك ....

تطفح همومها الراقدة تحت الوشوش

**لكن مسافات العشق تظل في امتداداتها رغم ذلك متوازية مع مساحات التعب دون توقف . لأن الحياة عند الشاعر بدونها هي الموت كما جاء في قصيدة (الوطن ) ...**

العشق محتمل ..

والكرة اكتر منه احتمال..

وأنا يا للي نغبش في قلبي هاتف الجمال

كشف لي سر الريشة والقلم

من يوم بلاني القبح بالألم

والموت بشوق الروح للاكتمال

بكف أيدي خلقت زهرتي من العدم

بحكم شهوة عشقي للمحال

وشعري للوصال

لسه بطهر نفسي من مزالق رغبتي

وباطفي حرقتي

بدمعة أمتي الزلازل .

**هذا النقاء الكاشف لعمق الذات الشعرية لا يمكنان يصل بها إلى حالة الصفاء هذه إلا إذا كانت قد شقت من التعب طريقا مفتوحا لعشق الوطن ، وفي الإطار العام لشعرية ( سمير عبد الباقي ) يتبين لنا انه واحد من أنجب أبناء بيرم التونسي إذ تتمسك لغته بعفويتها وبساطتها اليومية المألوفة، حتى وهي تصوغ رؤى شعرية تتكئ على بعد فلسف ساو سياسي يقتضي تحليل أبعاد أو كشف مواقف ، ناهيك عن حرفية الوعي الشعري في التواصل مع تجليات الوطن في صورة البسطاء ولأجلهم ظل منشدا على ناحية العشق الوطني .**

**صبري قنديل**

# حضور المثل الشعبى فى ديوان "رباعيات لكن وربع

* صدر للشاعر " سمير عبد الباقي " الدفتر العاشر من دفاتر العامية عن " دار قباء " وبما انه شاعر معروف فانا في حل من الحديث عن تاريخ الإبداع الشعري عنده ولا حاجة بي أيضا محاورا مشاغبا مهموما بقضايا الوطن ومؤمنا إيمانا يكاد يكون رومانسيا بان الحلم باشتراكية الوطن ومصريته وعروبته أصبح قاب قوسين أو أدنى ، فشغل الدنيا بهمسة وصراخه ( في أحيان كثيرة كان الصراخ لا يترك أي مجال للهمس )، وربما انشغل الشاعر بهموم " السياسي " فأصبح من الصعوبة بمكان الفصل بينهما وربما كان ذلك سببا مباشرا في أن جمهرة النقاد " تجاهلوا إبداعاته في الشعر والمسرح وأدب الطفل عن عمد ومع سبق الإصرار والترصد خوفا من اقتران أسمائهم باسمة وإدراكا منهم بان الحديث عنه ربما يسبب لهم مشكلات سواء معه شخصيا أو مع المؤسسة هذا بالإضافة إلى إننا في مصر نفتقر إلى النقاد الموضوعيين الذين يقيمون الإبداع بغض النظر عن مواقف المبدع وشخصيته وبغض النظر أيضا عن موقف المؤسسة الثقافية والمؤسسة الأمنية منه ، ناهيك عن أن عبد الباقي لم يكن في أي وقت مؤمنا بالشللية ولم يتوفر له أن كما توفر لآخرين اقل منه موهبه – ذلك للإلحاح الذي تمارسه المؤسسة الإعلامية الرسمية عندما تريد أن تجعل من البوصة عروسة إذ أن سمير عبد الباقي مصاب بمرض يسمى الصدق وهو يمارس ذلك الصدق في مواجهة خصومة وأصدقائه على حد سواء ، ولذا اتفقوا جميعا على تجاهله ، لكنه ظل دائما قادرتا على الاستمرار والمواجهة بل الانتصار عليهم جميعا إذ يتحول قلمه إلى سلاح حاد حين يحاصرهم في المساحة البيضاء مدججا بكل خبرة الشعب المصري في السخرية والتهكم لدرجة أن تشعر بقسوة انتقامه بعد أن حكم على أعدائه وأصدقائه بالإعدام ... ولم لا وقد استمروا تبرير الزيف وتضليل الناس وتصدير اليأس إلى نفوس أبناء الوطن ...

يمكننا إذن أن ندرج "ديوان رباعيات لكن وربع " ضمن ما يمكن تسميته " بالشعر السياسي " واعني هنا أن الشعر يصبح وسيلة لاستمرار المعارك التي تبدأ في قاعات المؤتمرات أسياسية والثقافية آو يصح رد فعل للخطاب الإعلامي السائد ... آو تعليقا على أحداث سياسية مباشرة آو نقدا لأشخاص بعينهم في لحظة تاريخية محددة ، حيث ينفرد الشاعر بالموقف لأنه صانعه وحيث تغيب تلك الأشخاص تحت وابل الأدانه والتعريض ، إذ يتدرع الشاعر بالوطن وبالموروث الشعبي ليصبح صوتا حكيما حاكما و قادرا أيضا على ممارسة القمع في القصيدة ضد هؤلاء الذين يمارسونه عليه في الواقع .....

"من تواريخ القهر وذلة يا حر أتعلم

اللي يدوس على طرفك لبه وأوعي تسلم"

**إذن هي دعوة للمقاومة وعدم التسليم للقهر من اجل إنقاذ وصيانة الروح ..ولكن هناك شرطا أساسيا لصمود الروح واستمرار القدرة على المقاومة وهو ما يتضح في الرباعية الآتية :–**

أنت الغني قد ما تقدر وتستغني

وتحاجي الروح بسحر الشعر والمعنى

واهبه الحياة نبضها لكسرة ورشة ملح

ولحظة فرح نادرة تنولك معنى

**هنا لابد أن نتذكر أن المثل الشعبي " الغني هو اللي يستغنى ونتذكر أيضا المقولة الدينية" تحسبهم أغنياء من التعفف " وهدف الاستغناء هنا صيانة الروح حتى وان عانى الجسد ومن ثم يصبح الشعر والغناء ميكانيزمات طبيعية للدفاع عن الروح ضد الفقر وذل الحاجة ، وذلك لان الإنسان الذي يختار الحرية لابد له أن يوطن على الاكتفاء بضروريات الحياة حتى يحافظ على حريته ... يقول ابن عروس:**

" لقمة من الزاد تكفيك

وتبقى نفسك عفيفة "

**ثم تأتي لحظة الفرح وان كانت نادرة إلا أنها تضيف للإنسان وعيا بوجوده وبمعنى حياته وكلمة " نادرة " هنا تتضمن " الندر " أو الوعد ، ونلاحظ أيضا أن السطر الذي يلي الرباعية يسميه الشاعر " ربع " يحمل رسالة تحرص على رفض الخضوع كما تدعو للتمرد على الأساليب الملتوية التي تجعلنا ننزلق في فخ الطمع الذي يمكن أن يسلبنا هذا المعنى الجميل للحياة واعني به " المقاومة "**

" موتنا في خضوعنا للي لوعه طمعنا "

**كما يذكرنا هذا السطر " الربع " بالمثل الشعبي الذي يقول " طول ما الطماع موجود ...النصاب في خير"**

**ونلاحظ أيضا في الرباعية " الثانية " استلهاما مكثفا للتراث الشعبي الديني ...**

بعض الخجل يا جدع بيزيد حلاوة الروح

سواكانت حزنان ويتخبي فؤاد مجروح

أو كنت فرحان تباهي الكل وتفاخر

**ألا تذكرنا هذه البداية الشديدة العمق بمقولة " الحياء شعبة من شعب الإيمان فالدين يعلي من قيمة الحياء ويحث على عدم المبالغة في إظهار عواطف الحزن والفرح ، ثم يسوق عبد الباقي في السطر الرابع حكمته الناجحة المستمدة من خبرة العشاق في كتم أسرارهم فيقول " بعض المشاعر بيقتلها جهير البوح " وكأنه يعيد على مسامعنا ولكن بشكل أعمق المثل الشعبي الشهير " داري على شمعتك تنور " ونلاحظ هنا أن البوح مشروع شريطة إلا يكون بوحا مكشوفا مبتذلا ينم عن إلقاء الذات تحت أقدام العابرين ، فالمشاعر لا يقتلها البوح ولكن الخطورة / الهلاك تكمن في ذلك النوع من البوح الذي يتسم بالمبالغة والضجيج ثم يؤكد الشاعر على ذلك في السطر الخامس الذي يسميه " الربع " مستدعيا ظاهرة طبيعية للتدليل على صدق رؤيته فيقول " هوج العواصف يدمدم في الخلا ويروح "**

**وهكذا فان حضور المثل الشعبي والحكاية الشعبية جنبا إلى جنب مع التراث الثقافي العربي هي سمات بارزة لا تخطوها العين في ديوان " رباعيات ... لكن وربع " يمكننا رصد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر كما يلي"**

**" ايش تعمل الماشطه في الوش العكر " يقابله في الديوان " إيه تعمل الماشطه في وجه كثيب " لما العامشة تتكحل كان السوق خرب " يقابله في الديوان " لو يوم جبال الكحل نصفت العامشة " .**

**ثم المقولة الشعبية الدارجة " ملعوب في أساسة " يقابلها في الديوان " اللي أتعوج من أساسة لا شي راح يعدله " ثم المثل العربي الشعري" إذا كان الغراب دليل قوم " ويقابله في الديوان " واللي دليلة الغراب من فين حيبقى شريف ".**

**والأمثلة على حضور المثل الشعبي في هذا الديوان كثيرة ويكفي ما ذكرت للتدليل على علاقة المثل بصياغة السطر الشعري في ديوان سمير عبد الباقي أحيانا تكون العلاقة مجرد إعادة صياغة الاحتفاظ بذات المضمون وأحيانا أخرى يتم تفكيك المثل واستخدام نفس كلامه في صياغة جديدة ومضمون جديد ولكن الشاعر في الحالين يستخدم سلطة المثل الشعبي وسطوة حضوره في إيصال رسالته رشق سهامه ..**

- **سمير الأمير**

# رباعيات ابن عبد الباقي

**الشعراء في هذا الزمان لا يشغلهم فقط أكل العيش "الحاف" ، وإنما يشقيهم ألا يجدوا مكانا لغناء إشعارهم خصوصا أولئك الذين اختاروا جانب الناس ، أعطوا ظهورهم للسلطان فأعطاهم ظهره وحرمه من نعيمه .. ونعيم السلطان ورضاه لم يعد "صرة مال" وإنما صحف وإذاعة وتليفزيون ودار نشر ومنحة تفرغ وأسماء أخرى .. ولقد حل الشاعر الجاد الرقيق "سمير عبد الباقي" المشكلة بان اصدر إشعاره الحبيسة في صدره ، والتي هي أصلا شجن وانين شعبه في كتيبات صغيرة سماها " دفاتر العامية المصرية" وقال إنها تصدر تباعا حسب تساهيل الظروف المادية والإبداعية وأعرب عن أمله في أن يصدر منها كتاب "الأراجوزات العصرية" و "رباعيات ابن عبد الباقي" و "مواجع مصر على هوامش دفتر جبرتي العصر " و "شكاوى الفلاح الغشيم عن التمثال المحطم والزعيم والسليم" .. أما الجزء الأول فقد ذكر في غلافه انه "رؤيا الحر الفقير لله النكدي الكفران ابن عبد الباقي ليلة موت الحلواني اللي بني مصر" ..**

**يقول "سمير عبد الباقي " في رباعياته :**

* اللي بني مصر كان شاعر وكان مسكين
على كل سلم رقص م الرعب دنيا ودين
وكتب عشانها القصايد سحر رباني
واتاريها أمية من جرجا لرأس التين

* يا عاشق البحر بيك البحر مش دريان
حزنك ماهوش سجن أنت سقمك السجان
ولا كل من كتم الألم شاعر
ولا كل من باح بالأمل فنان

* سنت سنانها آمنا الغولة

وأصبح الشعر مهنة شبه مزولة

وعميت بصيرتك يا عديم النظر

ح تموت بجهلك وتعجز تفهم الفولة

* أزاي راح أنسى يا حضرة المشهور

كيف التقينا في الحروب الزور

دمايا سايلة في السجون برضايا

وأنت العصايا ف قبضة المأمور

* إنا نديم أعلك لو أقط أبس بس له

كان عقلي ميزة واكلته فانكسر قلبي

السبع في دولته حزمني ارقص له

والفار حكم بعد منه قام حلق شني

* رقصت في الزفة يا مجدع

استأتذوا فينا التلاميذ

النيل كفر هجر المنبع

كل الشجر طلع جميز

* متعود ترقص على السلم

متشعبط في ديول حكامها

جه يومك ابلع يا معلم

إذ كل ضرورة بإحكامها

* قلبي عليكي انفطر

يا مخالفة مواعيدي

وطن أنتي وإلا حجر

بتنسي يوم عيدي

* الفقرا زهقوا من الطعام الأفقر

ومن العطش غرقوا في رمل وطين

والأغنياء شرقوا بماء البحر

والنيل عليل سرقوا هناه لاتنين

* خلاص نهيتوا المهمة حرقتوا غيطانها

فرسان خيال المآتة على الحصان لابيض

دهوستوا خيرها ودهستوا نبض وجدانها

سوقتوها زلفى وجمايل للبيت الأبيض

* قد ما خوفتم أمريكا

قد ما خوفتم الجماهير

في العيد تلبسوا مزيكة

وللحرب ركبتوا حمير

* لو كان يصح الصحيح

و لا يبقى غير الأكيد

كم كنت تكنس يا ريح

شعرا وحكام عبيد

**• محمد العزبي**

# سمير عبد الباقي ورباعيات لكن .. وربع

**إليك أيها الشاعر الذي تمسك بيديك سلاحا ذا حدين . حد الشعر وحد عزة النفس والكرامة .. وهذا هما الحدان اللذان جعلاك مثقلا بهموم شعب وبهموم بلد ومفهوم تعتنقه وتقدره آنت وحدك.**

**أيها الشاعر التلقائي الكبير .. الذي تخرج منه الكلمات مثل طلقات الرصاص والمتسلقين في مقتل .. ولذلك نجدهم دائما يوقفون مسيرتك وينسفون من أمامك سلالم المجد لكي لا تستطيع الصعود عليها.**

**ولأنك لست خبيرا في التسلق مثل اللبلاب على الجدران والتسلل على الحوائط لتصل إلى أعلى .. نجدك واقفا تنظر إلى من وصلوا إلى أعلى .. نجدك واقفا تنظر إلى من وصلوا إلى القمم ولا تبالى .. ولكنك فقط تترحم على أيامك ولياليك التي مضت في نضال وجهاد مستميت من اجل قضية اعتنقتها .. وأخيرا وجدت نفسك تمسك السراب وتقبض الهواء بيديك .. والغريب بل المدهش في الأمر انك أيها الشاعر الجميل راض وقانع بحياتك هذه وفي داخلك يسكن سلام لو وزع على العالم لأصبح العالم كله ينعم هو الأخر بالسلام.**

**أمسكت ديوانك الأخير "رباعيات لكن وربع" وهو الديوان العاشر لمجموعتك الشعرية .. تصميم الغلاف والتنسيق والإخراج للفنان المبدع محمد كامل وللديوان مقدمتان .. مقدمة من الشاعر عبد الرحمن الأبنودي وهي بالطبع مقدمة ممتازة من شاعر لشاعر.**

**إما المقدمة الثانية فهي للأستاذ الدكتور زايد عبد الفتاح وهي في حد ذاتها مقدمة مطولة بعض الشئ .. تصلح أن تكون وحدها مقالة كبيرة .. يشرح فيها من هو سمير عبد الباقي ويصفه بأنه شاعر متمرد مثقل ببذور الأسى والشجن.**

**والحقيقة تلك المقدمة رائعة بكل المقاييس المتعارف عليها أدبيا .. وهنيئا لك يا سمير عبد الباقي بصديقك الدكتور زايد عبد الفتاح .**

**ونأتي الآن لنغوص سويا في محتويات هذا الديوان .. واليكم بعض المقتطفات من زهوره النادرة .. حيث يقول:**

**– بعض الخجل يا جدع بيزيد حلاوة الروح ، سوا كان حزنان وبتخبي فؤاد مجروح**

**آو كنت فرحان تباهي الكل وتفاخر**

**بعض المشاعر بيقتلها جهير البوح**

## ويقول أيضا :

الحب في أحيان كتير مسكين

لما يصيب بالسهم ناس كاملين

يصدر عليهم حكمه بالحرمان

فلا يشفع الرمان ولا ينفع الياسمين

**وينتقل بنا إلى ابنته ليناجيها أو يعاتبها أو يبوح لها بواقعة وواقعها حينما يقول :**

يا بنتي .. وأنت اعز خواطري وقصايدي

عيدي النظر واقبليني بطبعي وعوايدي

أنا عمي فلاح وأمي بنت شيخ نجار

والجد مصري اراري .. لا رومي .. ولا هندي

"وأبويا يوم انتصف من الفقر بقى فندي"

وبعد هذا يسمعنا صرخة تدوي وهو يقول :

أحنا بواقي سلالة المحكومين العبيد

ولا الساعات السويسري تزبط المواعيد

ولسه عايشين زمن "يسعد مساك يابا"

نقلق بجد أن غموسنا مرة واحدة يزيد

ولا يخلو ديوانه أيضا من السخرية

**اللاذعة وهو يقول:**

- عجوز هتمة في عتمة تنوح على شبابها !!!
- وإذا غاوي تكدب ح تكتب

**بس ما ح نقراش !!!**

**انه فعلا ديوان رائع وكاتبه يستحق من الدولة الكثير مثل غيره الذين على نفس قامته .. فإلى الإمام وبإصرار دائم .. لان الإصرار حتما سيصل بك لأعلى المراتب والمكانة التي تستحقها والتي نضعك نحن فيها .. لأننا نقدرك ونقدر موهبتك .. فهنيئا لنا وللدنيا بأسرها بك وبإشعارك وعقبال ديوانك المائة إن شاء الله.**

- **كلير نصيف**

●

# ربـــاعيـــات

**تمثل الرباعيات في ديوان آخر حدود الزجل "للشاعر سمير عبد الباقي" منظومة تتسق فكرا، وفنا وتكشف عن العمق الفلسفي الذي يقف وراءها،وتوحي بأن الشعر ليس صورة جميلة فقط، وإنما هو أيضا هذا المعني العميق الذي يفي باغرض الذي قيل من أجله.**

**في رباعية له بتبدي هذا الحس الوطني الذي يشغله، ويتحدد موقفه من النظام الحاكم، ويمزج بين الهم الذاتي والهم العام، ويعطي للكلمة المفردة"العسكر" الدلالة الكافيه والمستغنية عن التفاصيل.**

ياساقية الحب دوري وأرفقي بحالي

صمتك حرمني الهوى بلبل هدوء بالي

لو مرة عن شط بحرك يرحلوا العسكر

ح اقنع بحالي واشبع من قليل مالي

**فهاهو يناشد ساقية الحب"إلا تكف عن الدوران، وان تعود مرة أخري فتزود القلوب بدفقه الحب الغائبة التي وراء هذا الموت الذي يشعر به، ولآن شط البحر "يرتبط بالساقية" عبر السق والخطاب فان عودة الحب مرتبط برحيل العسكر، الذين هم سبب افتقاد تلك الصفة ينظر النبيلة، وسيادة سلوك التوحش الإنساني. والرباعية تشي بأن الشاعر ينتظر، وأن الأمل لم يتحقق، يوحي بذلك دلالة حرف الاستقبال في العامية(ح..)**

**..والحب الذي يتسرب من الرباعية، حب يعلو علي الذات ويطمع في أن يحيط بالجميع، ويصبح"ربًُا يتواصل، فتستعيد الذات توازيها، وتخرج عن صحتها.**

**وتتجلي الرباعيات تلك النظرة العميقة إلي الكون والحياة، الموت والنماء، ومنظومات القيم التي تلتبس بفعل الزمان، وتقلب الأهواء، وتسلط الطفاة ..**

**وتأخذنا الرباعية إلي قيمة غائبة .. هي القناعة. ومن ثم يدين هذا التكالب علي الزائل من الحياة، والذي به يفرط الإنسان في قيم كان يجب آن يحرص عليها، فمادام الموت هو نهايتها كل شئ .. فلماذا نتدني، ونتنازل.**

الموت بياخد حقه م الأحياء

والرمل قادر علي كافة بحور الماء

يا من شقيت يشم عرف الورد وابتسم

تشوف في ضحكة وليدك جوهر الأشياء

**والشاعر حريص علي آن يغفر همومه الذاتية بهموم الوطن، ويؤكد علي أن أقسي أنواع الغربة، هو الإحساس بها في قلب الوطن، دون أن يبتعد آو يهاجر أو يغترب، لان مثل هذه الحالات مدعاة لذلك، إما الشعور بقسوة الغربة، التي تشبه "النفي" الداخلي، فهو حياة الإنسان غريبا في وطنه**

قالوا لي ليل مريضة في العراق ياطبيب

لكن إلي عنده الشفا هاجر ولا جاني

أنا أسير الوطن عايش في ارضي غريب

وكيف راح جريح القلب م الجاني

**ويقدم الشاعر نظرية إلي فن الزجل، الذي هو غرامه ومقصوده .. فيقول في أخر الديوان :**

فن الزجل له هيبة مجنونة

رهيبة أراجوز في أيده زفلة مسنونة

وعلي لسانه شتايم شبه ملحونة

عفي يشم الخض في كل شئ معيوب

**.... تلك قطرة من خضم الديوان المليئ بتجارب الحياة وأشواق الإنسان**

**محمد قطب**

●

# اللغة الشعرية النقدية
# عند سمير عبد الباقي

هذا الشاعر الذي يعلن عن استشهاده في كل خطوه يخطوها علي ارض الوطن. ثائر، شاعر، ناقد، كتوبجي دراما شعبيه، ممثل، إداري يكره كل المروغات ويعشق الوطن بطريقته الخاصة، يتشبط بكل خيوط العقل، يمنح قلبه تجربة العشق الواعي، يكره المواقف النصوص يهرس الأحزان ليدخن برمادها وجه الأوثان ويضع عليها علاقات تنصص لكي تعتاد عيون الذين لا يعتادون ولا يعتدون بالمواقف الثابتة أن يقرأو الفاتحة ملي وجودهم بعدان شريعت بنالتهم وراء لهات أو وراء اهتزازات كلاب حراسة الأسياد. هذا الشاعر تكلم وبصراحة وصلت إلي حد الوقاحة في حق الجبناء والوسطاء والإعياء، انه حصل علي تفويض من ضميره بان يفضح كل زيف.

وإذا تكلمنا عن الحداثة في لغة سمير عبد الباقي، من خلال قصائده الكثيرة في دواوينه فإننا نجد أن سبب هذه الكثرة إنما ترجع إلي أن الرجل لم نقيل كل الذي عنده بعد، وهو يجرب في الإشكال، نراه وقد سيطرت علي لغته شاعر الرفض لأشياء عديدة نظرا لارتباط سمير لليسار، ولا نقول أن هذا القول يصلح كمدخل للتحليل، وإنما للتدليل علي أن سمير عبد الباقي ليس ضد الوطن، ولكن. ضد سلبيته من يقومون علي مصالحة في أي زمان، وأي مكان، ولقد سيطرت(ايولوجية) سمير علي المعاني وعلي

**التأويل وعلي التحليل من زاوية اصطفائية وتحبوبه استطاع من خلالها أن يأخذ بأسباب الاستنهاض بالعقل المتراخي والزيف المتآخرو النفوس الكتردية في سلب حريات المواطن، والجديد.. من أجل الوطن.**

**أن وصول سمير عبد الباقي إلي تلك الحالة التي عني فيها بافتراضية عدم التواصل مع الجدل، وكذلك عدم تفاعل الجدل مع الافتراضات، لنجد انه بلا مهادنة يعلن العصيان!**

قولولي آخر نكته ع الانجاز

في السهرة أقولها في حضرة ( الأستاذ!!)

مكنانشي في السياسة كتير

مكانشي ليه في السياسة كتير

مكانشي ليه حتي في العصافير

الحب إنساني اكتر لو حكيت عنه ..

كان اللسان خوف م البكا بنصني

وخصوصي وأنا جسدي فتمزع بين المشاوير

**أن سمير هنا يستعيد مشاعر ايزيس التي تجمع شمل قلبها وتلملم مشاعر حزنا علي الرمز الواضح في البلاد للنماء. هذا الرمز الزى وزع جسده في البلاد بيد الشقيق (....) أن سمير هنا قطعته جسد ازوزريس نطقت بحق الحياة:**

حارتنا بأولادها

سابقه في عنادها كسيحة بقشم السلطان

**ونراه يتبع نباله الأيام والأشخاص في قولة:**

. إلي كل الشعرا

اللي ماتوا

علي فجاه أو بدون

ومالحقتش الدنيا تسمع غنوتهم(1)

يا للي ضاع عمرك مسايره للمسيرة

أخرته فقست علي يعينيك الغربة

عيشتها قهوم بفقدان البصيرة

وقت متسمم بأكاذيب الأطبة

**أن الشاعر هنا لا يطرح مخزونه من أو لمن تأشيرات جاهين أو بيرم أو فؤاد حداد، وإنما يطرح نفسه، يطرح تلك الروح المصرية واتراثها التي شاطئ التمكن من الرؤية الصحيحة الأشياء. ولأن الشاعر ابن بار لطبيخة الثقافة التي حملت في إعطاءها كافة صفوف الثقافات المستوردة التي استقرت في وجداتنا .**

1) هذا هو التقديم للقصيدة المعنونة{ خواطر شاعر ماشي في جنازته} من ديوان يوميات مدينة مكسورة الجناح دار الحسام 1997.

**ولكن سمير هنا ولأني قلت عنه انه شملول مشاغب، ومد وحر في كل أوراقة الثقافة، وفي المناقشات يلقي بقنابله النقدية ولا يأخذ لنفسه بالامتهان ولا بإقهانه لا لعقله ولا لبلده. اجل. هو هذا، وهو كل ما سبق. فكلمة (نحن) عنده تظهر في كل قصائده(نون الكمون) ملأ كفوف الشعر بالمعاني وراح يبدرها في ( جودة الوطن ) ، وقال كلماته لمن يكركرون علي ( جوزه الوطن) ويشدو أنفاس النعاس عن الحقايق كلها ويفطر شو. ويأتي هذا الرجل الذي لا يملك إلا القلم والألم ليكتب:**

لكم مصركم ... وأنا ليه مصري..(1)

قديمه جديدة، حزينة سعيدة.. لكني قد عمري

شاريها وقاديها

شاريها وكاتبها بقلبي المتيم

علي لحن مصري

راسمها بقلمي وآلمي..وهمي..

ناقشها بعرقي ودفعي..ودمي

منغمها مزيكة في احلي شعري

جموعه ومنيرة .. لكن طايعه أمري

تحنن في ليلي المسافات تمليه ..

تشقشق في فجري وتسمح يمينيه

تنور صباحي تعطر مسايا

تدهب لي شمس العصاري مرايه

وتنعش معايا

في حضني وقصدي ..

لكم مصركم .. تكنولوجيا.. بنوك

تجارة وشطارة ورشاوى (....)

صحف غلاوية ... بدك في شكوك

وزر سحلاوية .. غفر ثعلبي

وفن وغناوي وأدب لولبي

**ليس هذا الكلام ناقد بالشعر عاشق بالمنطق السياسي. وليس انطوائي وانهزامي أو مستسلم للثقلم. أو للألم. ولكنه عاشق منتصر بهجوم والناس البسطاء، الذين يتزايدون في كشوف إلي جه إلي الحرية، الذين هم علي استعداد لبذل الحياة من اجل القضية.. ولكن ماهي القضية عند أبناء الزمن الموس وعفوا يا وطن. أيه قضية . أن القضايا المرفوعة في ساحات العدل كثيرة ومتنوعة. قصية قمح الحريات، قضية البحث عن القوت والبحث عن الذات قضية ذوات الخصخصة ومصمصة عظام الوطن، قضية حرية الإبداع وشوذوذية الثقافة وبرمجة الإعلام وقضية الاشتناقة عن الحقوق المشروعة. نهر من القضايا مرفوعة لمحكمة الله. محكمة الذات الآلهة بعد العدل يهبط من سماء الله أبناء هذا الوطن:**

هذا الوطن للموت.. (1)

الحكم صادر مافيش فيه نقض ولا إبرام

المحكمة أتنورت من بدري واقتنعت

ان الجريمة اكبر الأحكام..

قبل الدفاع ما يقلب الصفحة

أتبدلوا الحكام

وكل واحد كان فكبل بهمه

فشخ في الجرح سمه

دبلت الأحلام

غسلت بدم البكاري العتبة واستغفر

طهر وجع قلبه من الأحزان

استبدل الأعلام وألوانها

طرم سنان التلامذة .. عربي وجدنها

**ان الشاعر هنا محارب. يمسك بحسام اللفظ والمعني لديه مثل خنجر يشهره في وجه من يظن ان الناس في الوطن نيام عن حقوقهم، فيأتي هذا الصوت لكي يؤكد رفع وصاية عنهم ..**

---

1) من قصيدة( وطن للموت) من ديوان يوميات مدينة مكسورة الجناح( وجع سابق)

**ولقد رأيت هنا، ومن خلال الشواهد البحثية، وأن كنت لا ادعيها لنفس بقدر ما أنا حريص علي إظهار الجانب النقدي، لأن تحت الشعوري شواهد Perstation الشواهد البحثية عند الشام الذي نحن بصدد الإبحار في عالمه متعلقة بآثار الإقناع مختلطة. وكما يعتقد معظم الخبراء في ان الميراث التي يقع حقيقة تحت مستوي عينية الشعور. أو بالأحرى خارج حدود الإدراك الممكن، ولا يمكنها ان تؤثر في سلوكنا ولهذا يقف الشاعر في منطقة( الأحوط).**

**ومثل كل الشعراء النازحين من ريف مصر نزح سمير من اجل التعليم، ومن التعليم إلي التقدم علي إقراته لأنه كان ولد (جبته ناصحة) مشاكس ومرازي في أحق. وعالم الريف وبكارته آبا لم يفارقه الإحساس به، ذلك العالم الذي اتخذ سمير فيه وحدة الوجود حيث رأي اختلاط كافة عموم الكائنات وتعايشها مع بعض البعض، من هنا تأثير شاعرنا بروح تلك الجماعة وراح يتكلم بلسان البكاء في أشعاره العامية مثلما نجده يقول في موقف المتراف .**

كرباج علي بطن أبويا(1)

كرباج علي ضهرامي

حين خيروني .. ما بيني

وما بين قصايدي وفني

اخترت اكتب واغني

صعبت حقيقتك عليه

بحكم ضعفي وسني

لزمت صمت الأرانب

فخسرت ما تبقي مني

**هذا الاعتراف أنما يؤكد ان سمير عاني الأمرين في بداياته كشاعر، وان حدود المنع وصلت إلي تعذيب الأهل بجريدة هذا الولد الطائش الذي بدا يتحرك في العاصمة وبدأت كلماته يشير غضب الرافضين:**

ياصاحب الكل حاذر(2)

ما تأمنش لحد

محروم جعان اللي واكل علي جميع الموائد

2،1) من ديوان شكشكة علي سبيل الفزلكة 1996( دفاتر العامية المعدية)

المندفوق مش حضن للبراسيم

ولا زهرة الفل مرهونة بضل الفسيح

وحاربت وحدك لما وجد الجد

حتي انتصارك خسارة في بنوك الذل ...

ساعة احتساب الفوائد

**لقد اخلص الشاعر للأرض، للطين، منح، أعطي بالكثر من السجناء تلك هي مفردات الطبيعة، وهو الذي امتلأ حتي النخاع بتلك المفردات الطبيعية للطبيعة البشرية، الماء، الطين، الأشجار، الطيور،الأسماك. ثم الناس الذين علي فطرتهم يلتفحون ببساتطهم ، وهذا ما جعل كلماته ليست عجيبة، وإنما لصقه بكل تلك المغادرات، عالمه هو عالم الإنسان الذي يحيا الحياة التماس مع كل الظواهر والمظاهر والإحداث.**

في بعض بلاد الناس ...(*)

الخوف لابس زعبوط بنت بنوت

يدقون حراس

علي جبينه سيحتة نبوت

الأرض الكردية بتشرخ في ضلوعه

تقطع ريح القرن العشرين في قلوعه ..

عبارة الفالت بيغير ملامحنا

بعد علينا تلا نفاس ويرجعنا لمرجوعه

رفقا بالقوارير يا سيدنا

ما احناش ولمقارب

استغفر من الوسواس الخناس ..

رحمة ربنا مالهاش في خلقه شروط

والنفس المهزومة عمرها ما تبني بيوت

يمكن تكسر مقادينها بان يدفعا

أو ربما من ملك النجم تسلم أطفالها للحوت

**بهذا المعني. أو المعاني، ولهذا الاتجاه الثوري، والانتقادي يطرح الشاعر ذاته**

---

*) المصدر السابق

**ولا نقول ان سمير عبد الباقي ذلك الشاعر ابن الزمن الجميل فقط، ولكنا نعلق أنا وكل من قرأ أعمال هذا الشاعر انه خليفة الشعراء في عصر كثرت فيه الخلافات وخاب الخلفاء آو تحالفوا مع الدولار والدينار إلا هو. انه خليف من نوع متلف. ومن يعرف الشاعر عن كثب يعرف فيه تلك البساطة والفيض الإنساني. والمشاكسة تحت ( الكاسكت) في أيام الشتاء القارص، لا تختلف عن مشاكساته حاسر الرأس أو بالكاب الذي لا يعمل رسوما ولا حروفا وإنما يحمل دلالة علي ان سمير يحمي نفسه دائما، ويحمي عقلة من المهارات، ويذوب عشقا وقبالة في كل عمل يقوم به. شاعرا كان او محاضرا او موظف. وجانب آخر في هذا الشاعر انه رغم كونه موسوعي الثقافة شمولي المعرفة ساخرا في تعليقاته. ممثلا شاهدته، كاتبا مسرحيا شاهدت أعماله، شاعرا**

**زجالا ومن ديوانياته ليست دواوينة لان سمير يملك ديوانيات بمعني ان الديوانية اشمل وأغم ومن دفاتر ابن عبد الباقي آخر حدود الزجل هذه القصيدة المشاكسة:**

ملعونا لرفق العاقر .... يولد أندال وخيانة

ملعون القلب الفاتر ... يجلد حلمه ألهجانه

ملعون الوتر التاجر ... لو منا بكلمة جبانة

وسكانا الهم أتاجر ... رضعنا المرخوانه

سلمنا لأيد التاجر ... النيل أحزان جوانا

ياقلبي اشق يبادر ... صحي الخلق النعسانة

انطق بالكلمة خناجر ... اكشف لوع السجانة

انطق بالقول القادر ... بوس الأيد العجانة

خدلك مع صحبك ساتر ... واخدبها في المليانه

دي الكلمة الصدق قماير ... بكرة والبشري معانا

المجد لأرض الشاعر ... يوم ما تدمزم غضبانة

**انه جاهين/ انه التونسي/ انه فؤاد حداد، لا .. انه سمير عبد الباقي ذلك الذي كتب ملاحظات بروح الطفولة، وشاكس السياسة بروح تحارب بالقلم وناصر الإنسان لأنه عاشق للإنسانية والحرية التي الحرية التي تغني بها ولا يزال علي غناه . غنيا لمن التدني مقوها لم يزل يسير بيننا وينتج احلي الاعمل**

- **آمين بكير**

●

# هذا الولد الشيخ الشملول الشاعر
# سمير عبد الباقي
# وديوانه الجديد: ميت سلسيل

● يقول مفتتح الحكاية أن الشاعر لن يكون سيد حجاب .. ولن يكون عبد الرحمن الأبنودي ولم يحلم أو يتمني أن يكون يوما جاهين أو بيرم، لكنه يعترف بأنه كان ومازال عاشقا لفؤاد حداد .. ولكنه في كل الأحوال ظل هو نفسه. سمير عبد الباقي. الولد الشملول. هذا الولد الجني الشملول الشاعر الذي فاجئته المدينة وصدمة خوف الأصدقاء وارتعابهم من أفكاره والكلمات. فماتت في قلبه الرهبة وانطلق يعبر بكل ما جاد الله عليه به من كلمات. سبق للسجن، ثم للحرب، ثم للهزيمة. لكن العزيمة عنده أبدا ما وهنت.

انه الولد الشيخ الشاعر الشملول المحنك ، الذي يحمل قلب الريفي الذهبي. هو ابن محافظة الدقهلية، ابن المنصورة، التي طالما تغني بها في شعاره. هذا الديوان الجديد مواويل لميت سلسيل يشهد أن الشاعر شديد الإحساس، وشديد التعذيب وأيضا شديد الحب لمعشوقته .. مصر، هذا الشاعر كان في شبابه مثل الجن الأزرق وفي طفولته كان العفريت الشقي الذي اعشقه سيدنا سليمان من قمقم الكلمات.. فراح سمير يقفز في وشبات المعاني. كان يغني لمعشوقته، لحريته، لإنسانيته، كان يلعب، وكان يتصعلك، وكان معي، وكان وما يزال بتثقف، هذا الشاعر الذي ظل يعاتب الناس زمانه بأشعاره، ومازال يعاتب كل من يهمل في حق الشعرة وفي حق الثقافة،وفي حق الإنسان ومن اجل هذا مارس كل صفوف الإبداع، الكتاب للمسرح، وكتابة قصص الأطفال، وكتابة النقد. وعشقه الآعلي تمحور في شعر العامية وهي منطقة العشق الكبرى في عالمه.

**هذا الشاعر رضع حليب العشق من الأطفال والأشجار والأخيار والعجائز والأصحاب وشواشي النخيل، ولديه إحساس وتاريخ وخبرة وثقافة هي زاده تواجده في المدينة تمردا وصهلله واللتماع فأستطاع أن يحتل مكانته العالية التي هو عليها الآن، لقد كان له ما أراده ألا يكون الولد الريفي الذي لم يلتزم بالمقصود في صفوف القانعين وألا يكون فقط فلاح مزروع في طين. لكنه تمنطق بالقلم (.....) الفأس، ثم راح يقلب في تربة الأرض، في بلده وفي مصر، ليستخرج منها النفيس من الكلمات، وهو الشاعر الذي يتحصن بالحكمة، ولا مانع من بعض من زلاقة الإنسان الخامل، آو الإنسان المتردد أو الإنسان الخائب، آو الإنسان الخائن لأية مسئولية. أيا كان موقعه !؟**

**انه صاحب الحكمة الموروثة عن الأجداد. انه يعترف بجهود السابقين منهم ويعشق فؤاد حداد، ويعشق بيرم التونسي، وهكذا يحيا بيننا سمير عبد الباقي شاعر العامية الجميل في زمن قبيح الكلمات والأغاني والمعاني. لنجد آن كلماته الطازجة تتعملق وهي تحكي عن بداياته كشاعر، وعن قصائده التي تشبه. بل هي العقد الفريد علي جيد وطنه. انه المنتمي إلي ريفيته، التي تشهد كلماته عن ميت سلسيل آن كل شئ في قريته يجري لا يزال في عروقه.**

**وسمير عبد الباقي. هذا الطفل الجني الشاعر الذي تسلق إلي سطوح دار جبر وراح يختلس النظرات للبنات الجميلات. وأجملهن فتنات ولواحظ.. هذا الولد التلميذ المقروض في مدرسة الجمالية لكي يتهجي فيها أول حروف المدح والحواديت والمواويل، وهو ذاته الصبحي في ثانوية دمياط والمنزلة والمنصورة، من كان يعشق في تلك المرحلة عيون البنت مديحه الآجريه، والبنت نصريه بنت دعبس والبنت ابنه الشيخ الواعظ.**

**وترك سمير قريته ليلتحق بكلية الزراعة جامعة عين شمس. لنجد هذا الطالب الشارب من عيون شمس الحرية للإنسان الريفي القادم من أجل آن يفتح في رأسه طاقة يدخل منها نور العلم، ويقول كلمته في المدائن. فقال في شعاره كلمة حق في صالح الإنسان والوطن فخاف منه الضعفاء، وخاف عليه الأهل، لكنه تحدي كل هذا وراح يكتب ويتكلم ويعبر عن ذاته وذوات الآخرين. واتهمته السلطة بالعصيان، وبالخروج عن المألوف بالحسنى والمعروف من واقع ما سطره من كلمات تغضبهم. والجزاء كان السجن.. لكن الفتي راح يضحك في سجون العاشقين ، ويغني للحرية والوطن، ويبصق علي زمن الوشن، هذا الولد الشيخ الشاعر الشملول سمير عبد الباقي كما عرفته ذهبي القلب كان لم يزل. سخي الذكاء. غزير الإنتاج. وهذا يعني انه ما يزال لديه ما يقوله..**

ما كنتش مجبر ولا مقهور .. ولا مغمي عليه ولا

مضروب علي إيدي .. لما حسيت وف وقت مبكر جدا ..

بالروح المتمرد بيفك قيودي . ولكن

بيسلسني بسلاسل التزامات العشق المستعفي

اللي الزمني بكل إرادة ضعفي بصفي ..

حسسني بقلة حيلتي لوحدي .. وأقنعني استكفي

بالورق المتساوي المستوفي ..

فغسلت همومي الذاتية بكل سذاجة في ترع الناس

المعكورة

رفضت عيوبي اللي زى الشمس

وتهمت في ضلمة أسواق الدنيا الشبورة

أدور في القسوة علي وهلة رقة وردة آو إحساس

عصفورة

لحد ما وقع الفأس في الرأس

وانكشف الستر عن الأسرار إلي مغمية عنه

عن مكتوبي اللي سد علية شرخ هروبي

**هذا الشاعر الذي أبحر في مستهل حياته في كتب الأساطير الإغريقية وكتب الشطار والقراصنة بالصوت والصورة. ذلك الذي قال كلمات أخافت أقرانه بل أرعبتهم فلقد تكلم عن الصراع الطبقي. واعترف بان الحب بكافة أشكاله.. الضرورية والسوقية والوهمية.. سياسة وطنية.**

لان الناس راح تفضل زى ما هيه غبية، غايبه وعايبه

وملهيه وما تتغيرشي .. ظروفها هيه اللي بتتغير...

ح أفضل أقول للعايب عيب .. وللخاين سيب ..

وللظالم لأ .. بدون ما تقلق .. ولا أتحير .. ولا

أقلق، مش ح أغرق في سواد ليله. لأني لا عرفت ولا

ح أعرف أجيبه من ديله مولانا الديب .. إلي ناقع

مواويلنا في ديله

**وربما كان سمير كما يقول في قصيدته هذه ( تذكرة في اتجاه واحد) بأن قصائده التي لها أظافر التي لا تعجب لأنها لا تخفي حقيقة( التو شب) نحو الأخطاء، ويعلن عن عدم رضاه فهو يقول :**

وإن كان تقديري .. ما يطلعشي في الطيب أي

نصيب

كفاية علي حمار الحق الأعرج

اللي زيه مافيش لا في صبر ولا التهذيب..

وكفايتي عصايتي عكازي اللي يا دوبك تسندني

وإذا كانت مابتحميش.. وقصايدي أمات خرابيش

اللي ما بتعجبش عشان مابتخبيش

وقلة أدب الشعر اللي جابت لي الكافيه..

ورهنتني بالقمة المش كافيه لكل مرابي وشاويش

لكنها مطرح ما بتسري بتمري في الدم

حتي ولو بالهم الغم .. وما دمت ماح تقلتلينيش

وبتكفيني ولو بالتيه شر الكدبه القتلة

اللي نجاستهم طرطشت العالم حواليه .. لكن

- ببركة دعواه أمي – ماطلتنيش..!

**هذه نغمات الكلمات صهيل جواده الجامح، وهذه أصالته وعراقته وريفيته. وبالمناسبة كلها ليست عفوية، وإنما منسوجة علي طريقة العارف بالنول وبالخيوط الحريرية القوية القـوام.أو كالصائغ حين يجيد في صنع منمنماته. تلك هي قصائد الديوان الذي اهدانيه.**

**( مواويل لميت سلسيل) والتي كانت كالسبيل الذي يشرب الظمآن منه فيرتوي والديوان عبارة عن مختارات من أشعاره صدر مؤخرا عن مديرية الثقافة بالدقهلية بإقليم شرق الدلتا ضمن سلسلة إبداعات الدقهلية، والديوان يضم احدي وعشرون قصيدة من أجمل ما أبدع سمير عبد الباقي شيخ الكلمة العامية التي تعرف طريقها إلي القلب مباشرة وستقر في الوجدان وتدعو إلي التأمل, وأكتمل العقد الفريد. عقده العاشر بعد الخمسين عاما. وهذه بداية التخفف من وظائف الحكومة وبداية انطلاق انتظرها سمير عبد الباقي الشاعر المجدد**

**أمين بكير**

# سمير عبد الباقي.. و60 سنة في حب مصر

## علم نفسه حب الوطن..وكتب قصائد يفهمها البسطاء

* نادرا ما تقابل الشاعر الكبير سمير عبد الباقى ولا تجده يحمل ديوانا جديدا له، فالرجل فى حالة كتابة دائمة مكنته من آن يبنى - على حد قوله - هرما من دواوينه .

قد تختلف مع ما يكتبه سمير عبد الباقي وما يتصوره عن الشعر آو تنكر عليه موهبته الكبيرة وعطاءه الجامحة في التغيير وصنع عالم أجمل، وكذلك صدقه مع نفسه وإيمانه بقضيته.

سمير عبد الباقي بكل المقاييس شاعر كبير أضاف الكثير إلي واقعنا الشعري وأخلص للشعر طوال حياته المليئة بالكفاح والمعاناة، ونقدره ونحترمه رغم أننا لا نكتب مثله، وربما أيضا نرجو من الشعر ما يرجوه هو.

وعلي نفقته –كالعادة – وبمناسبة بلوغه الستين جمع سمير عبد الباقي بعض ما كتبه عنه النقاد والأدباء، وبعض الحوارات التي أجريت معه، جمع كل ذلك في كتاب بسيط وزعه علي أصدقائه دون أن ينتظر أن تقوم جهة رسمية أو غير رسمية بهذا العمل.

## عالم خاص

يقول الناقد سامي خشبة عن ديوان سمير عبد الباقي "كلام من القلب" أنه يضم كثيرا من الأشعار التي تؤكد حرص الشاعر علي أرتباطه بالعالم الذي يعيش فيه بني بلدته في مصر.. وعالم سمير عبد الباقي عالم خاص جدا. ولكنه عالم مشترك إلي أقصي حد.. العالم الذي يبدأ من القرية بطينها وعرقها وملاعب أطفالها. والذي يصل إلي مقاهي المدينة وزحام موائدها الباردة. العالم الذي يتقاسمه العمل والغناء والموت والحب والوحدة والامتزاج والصداقة والبغض واليقين والشك، ولكنه يستطيع ان يكتشف "المذاق" المصري الخاص لكل هذه العناصر التي يشترك فيها كل الناس وكل الشعراء ويستطيع أيضا ان يستخلص لنفسه"مذاقا"خاص بعيدا عن مؤثرات فؤاد حداد وصلاح جاهين.

## وضوح العبارة

ويتميز شعر سمير عبد الباقي –كما يقول الروائي خيري شلبي– بوضوح العبارة وتجذرها في البيئة المصرية الصميمة، وبنضج صورة الشعرية التي تصدر عن وجدان شديد الحساسية والتيقظ.

ويقول الأديب محمد مستجاب: لا اعتقد أن واحدا في العالم استطاع أن يظل مخلصا لقضيته أكثر من سمير عبد الباقي ، لم يكتبها شعرا فقط بل انه يعيشها ويرتديها ويصنع من خيوطها فراشه وغطاءه وطريقة كلامه، حتي أنها احتوته تمام – هذه القضية الثورية – فمنحته تقاطيع وجهه وغطاء رأسه وشاربه وتصرفاته القاطعة الصارمة، ولو مان هذا الشاعر يملك نسبة معقولة من الشر مع تخفيض نسبة الشعر، لأصبح واحدا من أشهر الثوريين في العالم كله، بغض النظر عما أصاب الشعر والثوريين من تغيرات في المبادئ والتضاريس ومناطق التحقق والمناصب.

## عشق الـوطن

**وحول عالم سمير عبد الباقي الشعري يقول الكاتب الصحفي نبيل زكي ان عمق قصائد سمير عبد الباقي الذي كانت كلماته في وقت من الأوقات من أجمل ما قيل عن سيناء، يكمن في أنها تخاطب أبسط الناس ويفهمها ويقتنع بها أبسط الناس، فهذه القصائد ابلغ من آلاف المقالات والشروحو"القوافل" والندوات، ولو كنت مكان المسئولين لإذاعة والتليفزيون لسارعت بإتاحة الفرصة أمام هذا الشاعر الذي علم نفسه عشق الوطن، لكي يستمتع أكبر عدد من الناس إلي كلماته التي ترد لأبناء هذا الشعب الاعتبار لأنها كيف يمكن الدفاع عن حياة الناس وأمنياتهم بنفس القوة التي تتصدي بها لكل من يحاولون المساس بوحدة أبناء الوطن ويعبثون بمقدراته.**

**يقول سمير عبد الباقي في احدي قصائده:**

ان كان"بديع"رمي بذرتها

بدمي ريتها

خمرني "بيرم" في طينتها

وغني لي فؤاد

رضعتها فصحي وعامي

من بز أمي

وعمر ما قلت يا عمي

لواد م الأوغاد

بنيت هرم من دواويني

وفيت ديني

لذا حاف حلالها يكفيني

وأخاف لو زاد

توبي ماهواش فضلة غيري

ولا مناخيري

كسرها حد .. ولا الميري

ومالیش أسیاد

**يسري حسان**

●

# تأملات ذاتية في ديوان نهنهات المشيب

***تبدو الحياة في آخر الآمر بكل أحداثها كغبار أثارته أقدام تركض وخيول تعدو، وعندما تنجلي الساحة وتكف تلك الأقدام عن العدو، المجدي واللامجدي لالتقاط الأنفاس، يجد المحارب حيزاً من الزمان وجداراً علي التلال يستطيع ان يتكأ عليه ليتأمل حاله وأحوال مجتمعه، لكنه يجد المشيب قد رسم علي قسمات الوجه ظلال وصبغ الفودين بالبياض. براه ضيفا ثقيل الظل كالحياة كالموت لا تستطيع لأمره رداً.**

**هنا يجد الشاعر المتمرد المثقل ببذور الآسي والشجن فسحه كافيه من الوقت للتأمل الرصين الذي صقلته الحكمة المكتسبة من تجارب الأيام والسنين فيتبين ما آلت إليه الأمور ويبصر الشموس الغاربة لأهداف إنسانية كان يمكن تحقيقها فيلوذ بموسيقي البكاء، إلا وهي النهنهة .. وهي ذلك الصوت الذي يتخلل البكاء الذي يكون للدمع فيه نصيب وافر.**

**ذلك ما شعرت به ان قرأت ديوان نهنهات المشيب للشاعر سمير عبد الباقي، والذي تتولي إصداراته تباعآ تحت عنوان دفاتر العامية المصرية(دفتر نمرة تسعه) ومن خلال معرفتي بالشاعر، فإنني أري أن شاعرنا ظلمته الكلمات وجارت عليه الآراء وبخلت عليه الأضواء لأنه يفتقد إلي مرونة الثقافة المطاطية التي كثيراً ما تكون الآفة الكبرى التي تنتاب عدداً ليس بالقيلي من المثقفين.**

**ذلك.. ما جال في خاطري حول ذلك الديوان الذي أمسكت به تصفح بعض قصائده ولكن الديوان هو الذي امسكني وتشبث بي ولم استطع الفكاك من قبضته الحانية حتي بعد ان فرغت من قراءته، لم يفرغ ذهني من استرجاع تلك الصور المتعددة لذلك الطفل الذي يعتريه الفضول للتعرف علي مفردات الكون من خلال تجارب القرية إلي ذلك الشاب اليافع الذي عرف الوجد وخفقان القلب إليه طريقاَ ثم نراه ذلك الشاب والرجل الذي أدركته حرفة الأدب الممتزجة في بعض الأحيان بأفكاره السياسية وبأيدلوجيات خاصة فصنعت منه ذلك المبدع الذي لا يبدي أي قدر من المهادنة في مواجهة أهل السطوة في زمن لم يكن فيه هامش لحوار يتسم بقدر من مرونة الديمقراطية وقدر للتواصل مع أصحاب الآراء والأفكار.**

**وهنا نجد أنفسنا أمام شاعر له موقفه الخاص أصاب أم لم يصب، وقفنا في صفه أم لم نقف، لكنن من خلال تجربته الشعرية والذاتية نجد أنفسنا أمام رجل عالي الهمّة لا يعرف ولا أنصاف الحلول ولا يخشي من التمزق أو التشرذم لأنه يعرف طريق الأسطورة المصرية الأزلية التي استطاعت تجميع أوصال محبيها وعاشقيها حين يعتريهم التمزق علي مر الزمان:**

"ارمي نيران الخيانة فلن تفزعني

عن عشق هذا التراب عمرك ما تمنعني

...

...

أنا كل ما يمزعوني .. إيزيس تجمعني"

**ذلك ما ذكره الشاعر في أولي صفحات الديوان إذ يترك لنا في استهلال الديوان بطاقة تعارف ترسم الخطوط العريضة لذلك الشاعر الذي آنت مقبل عليه، أنه واثق من نفسه وعلي استعداد لمجابهة لذلك العناء وقادر علي أن يستطرد في الإفصاح عن تجربته الشاعرية بقوة وتحد، وليس ببكاء أو نهنهه كما يذكر عنوان الديوان ولكن بتأمل وعمق وقدره علي الأفصاح والصياغة ويغشاها بعض من ذلك الحزن والاكتئاب النبيل.**

" محلاه شعور الاكتئاب النبيل

لو شق قلبك، حزن ساعة أصيل

...

ورغم جمر الألم تحلم ببكره نبيل"

**يخوض بنا الشاعر في صفحات كل منها تحمل تجربة شعرية بلغه عامية محببه، تمتزج بموسيقي الشعر بلا تكلف ولا عناء .. وتتكون من مقطعين (رباعية يليها خامس(. في الأول يقدم لنا التجربة التي استوقفته وفي الثانية يقدم لنا الحكمة التي اهتدي إليها من خلال استعراضه لذلك الموقف الشعري، فيذكرك بالقرار والجواب عن أهل المغني أو الصدر والعجز في مقاطع البيت الشعري.**

**يقدم لنا الديوان إطلاله علي تجارب شعرية ومضت في ذاكرة الشاعر تعكس أطوار حياته – الصبا والشباب والمشيب ولنتأمل معاً صورة ذلك الطفل الذي يتقدم رفاقه لكي يطلع نخله جده من غير حبال توثق التصاقه بجذع النخلة إذ يكفيه ذلك الاحتضان البشري النبيل الذي يوثق تعلقه بالأشياء، يرتقي الكفل النخلة وهو فارداً جناحيه،مأربه لم يكن ثمار البلح بل معاينه القمر والسير ردهاته الفضية وأرقته البيضاء الناصعة، بينما الصبية تتطلع أنظارهم إليه وهي شاخصة في السماء العريضة ولكنه لم يحقق مأربه وأصابه الإحباط أنه لن يستطيع أن يحكي للأطفال عند هبوطه عن حكاية السندباد وردهات القمر لكنه يخبرنا أن اليأس لم يعرف إلي نفسه طريقاً إذ تعلم من يومها أن لا يكف عن ارتياد برج المحال. ولنتأمل معاً تلك التجربة الشعرية الرفيعة..**

طلعت نخله جدي يوم من غير حبال

فردت جناحين للسما عراض طوال

طلت القمر..؟

كأن نفس – ماقدرتش

بأي وش انزل واحكي للعيال

...

من يومها تايه قلبي في بروج المحال

**يدلف بنا الشاعر إلي ساحات الوجد الخاصة به والتي تتسع لكي يتفيأ في ظلالها الرائح والغادي إذ يقول:**

" عجزت اقرأ خرايط قلبي من صغري

علشان كده

تهت في دروب الهوى بدري

لو يوم تصيبني سهام العشق تهزمن

...

طير الهوى في براحه

يموت علي صدري

**والتجربة الوجدانية لدي الشاعر تجربة مركبة تنأي به عن وجد المراهقة والأحزان السطحية للعشق الذي تستحيل في آخر الأمر سرابا. ولكنها تجربة يكتنفها ذلك الآسي الإنساني النبيل لإبعاد متعددة تشمل حسه الوطني وانتمائه وتطلعاته وأحباته ليصوغ لنا تلك التجربة من خلال تضافر العديد من التجارب التي جعلت من المنظور الوجداني له منظوراً خاصاً متميزاً.**

**ثم نري قدرة الشاعر هلي الاستشراف وعلي التنبؤ بما قد يأتي به الغد الذي هو في آخر الأمر وليد اليوم، في عالم متغير وان كان الشاعر يسوقه لنا بدءا من حارة صغيره في دروب وشعاب يمكن تجسيمها لكي تصبح رؤية عامة تتسع لتشمل المستجدات الحالية علي الساحة التي تمرح فيها الباطش المهيمن، وليس من حق الباقين حتي ان يطلعوا علي السيناريو المرسوم لهزيمتهم.**

"جرس الخطر دق جلجل هز حارتنا

رفص العيال الغطا ونهقت حمارتنا

شيخ حارتنا

المسلسل في عوج سيره

لأوعه ضميره ملا زيره بقلتنا

...

واللي يطاوعه ارتوي وعطشنا موتنا"

أليس هذا يراد بنا، وما نساق إليه في ظل ما يسمي عالم القطب الواحد – وهيمنة القوة الكبري علي مقاليد الأمور – في الحارة – في الدرب في الوطن – في الكون .. وهل كتب علينا ان نقدم الطاعة والاستجداء حتي ننال جرعه ماء من ذلك الكائن الذي ملأ زيره الكبير من مياه قلتنا الصغيرة وتركنا عطشي ننتظر ان يحن علينا برشفه ماء سلبنا أيها.

تجارب الديوان متعددة وعميقة وليست بالسهولة اللفظية التي تبدو لنا رغم نأي الشاعر عن الوقوع في الإبهام أو الرمز التي يحتمل تأويلات متعددة.

ويمكنني ان أقول ان الشاعرية الحقه ونضج السنين وصدق التجربة مكنت الشاعر/ سمير عبد الباقي من ان يقدم للمكتبة الإنسانية وللقارئ ديوان من شعر مفعم بالتجارب الإنسانية التي لا يتسني رصدها إلا لهؤلاء الشعراء الذين لم يتهربوا من دفع الضريبة الكاملة الخاصة بالإفصاح في أزمنة كان فيها الصمت ضربا من الشجاعة. ولذا فإن هذا الديون جدير لأن ينتقل من رف المكتبة الخشبي لأماكن جدير بها الذاكرة.

**زايد عبد الفتاح**

# في ديوانه الجديد"رباعيات .. لكن ربع"

## سمير عبد الباقي يحتمي بالوطن والموروث الشعبي في مواجهة القمع

صدر للشاعر سمير عبد الباقي الدفتر العاشر من دفاتر العامية عن "دار قباء" وبما أنه شاعر معروف فأنا في حل من الحديث عن تاريخ الإبداع الشعري عنده ولا حاجة بي أيضا للحديث عن سمير عبد الباقي "المثقف المصري" الذي عرفته ساحات الحوار الفكري والسياسي محاورا مشاغبا مهموما بقضايا الوطن ومؤمنا إيمانا يكاد رومانسي بأن الحلم باشتراكية الوطن

**ومصريته وعروبته أصبح قاب قوسين أو أدني، فشغل الدنيا بهمسه وصراخه، وربما انشغل الشاعر بهموم" السياسي" فأصبح من الصعوبة بمكان الفصل بينهما وربما كان أيضا سببا مباشرا في أن جمهرة النقاد "تجاهلوا إبداعاته في الشعر والمسرح وأدب الطفل عن عمد ومع سبق الإصرار والترصد خوفا من اقتران أسمائهم باسمه وإدراكا منهم بأن الحديث عنه ربما يسبب لهم مشكلات سواء معه شخصيا أو مع المؤسسة، هذا بإضافة إلي أننا في مصر نفتقر إلي النقاد الموضوعيين الذين يقيمون الإبداع بغض النظر عن مواقف المبدع وشخصيته، ناهيك عن أن "عبد الباقي" لم يكن في أي وقت لآخرين – أقل منه موهبة – ذلك الإلحاح الذي تمارسه المؤسسة الإعلامية الرسمية عندما تريد أن تجعل من "البوصة""عروسه".**

**يمكننا إذن أن ندرج ديوان "رباعيات لكن وربع" ضمن ما يمكن تسميته " بالشعر السياسي". وأعني هنا أن الشعر يصبح وسيلة لاستمرار المعارك التي تبدأ في قاعات المؤتمرات السياسية والثقافية أو يصبح رد فعل للخطاب الإعلامي السائد.. أو تعليقا علي أحدث سياسية مباشرة أو نقدا لأشخاص بعينهم في لحظة تاريخية محددة،حيث ينفرد الشاعر بالموقف، لأنه صانعه وحيث تغيب تلك الأشخاص تحت وابل الإدانة والتعريض، إذ يتدرع الشاعر بالوطن وبالموروث وقادرا أيضا علي ممارسة القمع في القصيدة ضد هؤلاء الذين يمارسونه عليه في الواقع.**

**" من تواريخ القهر وذله يا حر أتعلم اللي يدوس علي طرفك لبّه وأوعي تسلم".**

**إذن هي دعوة للمقاومة وعدم التسليم للقهر من أجل إنقاذ وصيانة الروح.. ولكن هناك شرطا أساسيا لصمود الروح واستمرار القدرة علي المقاومة، وهو ما يتضح في الرباعية الآتية :**

" أنت الغني قد ما تقدر وتستغني

وتحاجي ع الروح بسحر الشعر والمعني

واهبه الحياة نبضها لكسرة ورشه ملح

ولحظة من فرح نادرة تنولك معني"

**هنا لابد أن نتذكر المثل الشعبي " الغني هوه اللي يستغني" ونتذكر أيضا المقولة الدينية " تحسبهم أغنياء من التعفف" وهدف الاستغناء هنا صيانة الروح حتى وان عاني الجسد ومن ثم يصبح الشعر والغناء ميكانيزمات طبيعية للدفاع عن " الروح" ضد الفقر وذل الحاجة، ذلك الإنسان الذي يختار الحرية لابد له أن يوطن نفسه علي الأكتاف بضروريات الحياة حتى يحافظ علي حريته .. يقول ابن عروس:**

"لقمة في الزاد تكفيك

وتبقي نفسك عفيفة..".

**ثم تأتي لحظة الفرح وان كانت نادرة إلا أنها تضيف للإنسان وعيا بوجوده وبمعني حياته وكلمة "نادرة" هنا تتضمن " الندر" أو الوعد نلاحظ أيضا أن السطر الذي يلي الرباعية، والذي يسميه الشاعر"ربع" يحمل رسالة تحرض علي رفض الخضوع كما تدعو للتمرد علي الأساليب الملتوية التي تجعلنا ننزلق إلي فخ الطمع الذي يمكن أن يسلبنا هذا المعني الجميل للحياة وأعني به " المقاومة".**

"موتنا في خضوعنا للي لوعه طمعنا".

**كما يذكرنا هذا السطر "الربُع" بالمثل الشعبي الذي يقول "طول ما الطماع موجود.. النصاب في خير".**

**ونلاحظ أيضا في الرباعية"الثانية" استلهاما مكثفا للتراث الشعبي والديني.**

**"بعض الخجل يا جدع بيزيد حلاوة الروح سوا كنت حزنان ويتخبي فؤاد محروج أو كنت فرحان تباهي الكل وتفاخر".**

**ألا تذكرنا هذه البداية الشديدة العمق بمقولة "الحياء شعبية من شعب الإيمان"،فالدين يعُلي من قيمة "الحياء" ويحث علي عدم المبالغة في إظهار عواطف الحزن والفرح، ثم يسوق"سمير عبد الباقي" في السطر الرابع حكمته الناجحة المتسمدة من خبرة العشاق في كتم أسرارهم، فيقول "بعض المشاعر بيقتلها جهير البوح"، وكأنه يعيد علي مسامعنا، ولكن بشكل أعمق المثل الشعبي الشهير"داري علي شمعتك تنور"، ونلاحظ هنا أن البوح مشروع شريطة ألا يكون بوحا مكشوفا مبتذلا ينم عن إلقاء ذلك النوع من البوح الذي يتسم الذات تحت أقدام العابرين، فالمشاعر لا يقتلها البوح، ولكن الخطورة/ الهلاك تكمن في بالمبالغة والضجيج، ثم يؤكد الشاعر علي ذلك في السطر الخامس الذي يسميه" الربع" مستدعيا ظاهرة طبيعية للتدليل علي صدق رؤيته فيقول"هوج العواصف يدمدم في الخلا ويروح".**

**سمير الأمير**

●

## قراءة في .. ديوان

# يوميات مدينة مكسورة الجناح

نعيش اليوم أزمة عويصة تتعلق بالهوية والوجود في عالم تتنازعه كوامن من صراع مرير. ومن الطبيعي أن تكون الثقافة هي الملجأ الذي به لكي نخطو من الوعي إلي الفعل. والفن هو أيضاً أحد السبل عظيمة الخطر في الطريق نفسها. وسوف يكون لقضية العامية في الفن الشعري مكان مهم في مرحلة تشهد تحول اللغة العربية الفصحى وخروجها التدريجي عن أنماطها البلاغية التقليدية للدرجة التي تجعل باحثاً هو "بيومي قنديل" يري أن اللغة المنطوقة في مصر اليوم امتداد طبيعي للغة المصرية القديمة بمراحلها الثلاثة الرئيسية: الهيروغليفية والديموقراطيقيه والقبطية، أي أننا لأن نعيش في المرحلة الرابعة في تطور لغة المصريين .. ونحن لا نريد أن نصل إلي ما وصل إليه بيومي قنديل، ولكن يمكننا أن نقول – علي الأقل – إن قصائد التي تكتب اليوم تمتلئ بالعامية روحاً ولغة وصوتاً، وكما قال "فولتير" فإن الكتابة هي صورة الصوت، لذا ينبغي أن تقترب منه اقتراباً حثيثاً دائما، ولعل هذا ما يبرر ما نشهده الآن من الخروج المقصود أو غير المقصود علي قواعد النحو الأساسية في كتب التلاميذ.

لقد كان لشعر العامية منذ بدايته هذا الوهج الخاص الذي جعل المفكرين الأيديولوجيين بمختلف مشاربهم يعطونه أهميته في الاقتراب من وجدان الشعب. ولا يزال شعر العامية يمثل أكثر التوجهات الشعرية المعاصرة قدرة علي المساهمة في مناقشات ومجابهة أزمة الهوية الكبرى التي تحياها مجتمعاتنا اليوم.

لقد غزت العامية ليس الشعر ولأدب فحسب، بل كل الفنون الأخرى بلا استثناء بل ويشهد مستقبل الفن والأدب مزيدا من هذا الامتلاء بروح الشعب وأدوات تفكيره ولغته وفنه.أن وعينا بهذه القضية وهو الذي سيمكننا من فهم دورنا ومساهمتنا في الوجود الإنساني علي الكوكب الذي نعيش فيه.

***

يمتلك سمير عبد الباقي شعرتيه الخاصة المتدفقة تدفق البحر الهائج، لقد حقق سمير عبد الباقي أسطورة الشاعر الكبيرة، الشاعر الذي يتحقق من خلال قدرات غنية وتكنيكات متنوعة غزيرة متفاعلاً مع أحدث عصره إيديولوجياً وإبداعياً، ومتقاطعاً مع الجوهري ومع التفصيلي بهذا الشكل الفائض الثوري الذي يقلق كل منطق، لايركن ولا يستريح ولا يمكن عند أي فكرة أو أي أسلوب تقني في الكتابة.

هو الشاعر المبدع المتفنن المتعدد يمس كل شئ حوله بعصاه السحرية فيحوله إلي شعر، لا يترك كبيرة ولا صغيرة دون أن يناوشها ويفصصها، يذكرنا بـ"ابن الرومي" في العصور الخالية ويجعل الشعراء يحسدونه علي خصوبته وعلي حيرته الناضجة التي يتمكن من عرضها علي جمهوره، وهذه علامة أساسية علي الشعرية الكبيرة ، أن يتمكن الشاعر من عرض حيرته ويأسه الجميل علي مسامع المتلقين، ولكن ذلك لا يعني التهجم والعبوس بل نحن أمام خفة الدم المصرية وأمام نكهة شعبية تعبر عن هذا الحس الذي تتعانق فيه هموم القرية مع هموم المدينة في صياغة ثرية للروح المصرية الخالصة. يمتلك الشاعر هوسه الخاص يطرحه علينا من خلال هذا التهدج الصوتي والترتيل والتغيم التطريبي مستفيداً من التراث ومن التواشيح والأزجال والمواويل والأدوار الشعبية يعرض علينا من خلال أجواءه الحميمة وألعابه وطفولته وبراءته. إنه الشاعر الطفل الذي بتشبث بطفولته ورقته الرومانسية أحيانا كما يطرح وحشيته وعناده وتمرده في أحيان أخري.

تمثل تجربة الشاعر خلاصة صافية تجسد مرحلة مهمة في تاريخ الثقافة والشعر في مصر بين الستينيات والسبعينات بكل ما دار فيها من صراع ايدويولوجي وشعري وفكري كافح فيها الشاعر مخلصا ليجبرنا علي احترامه واحترام خبرته الشعرية شديدة الحساسية والتي لم توف حقها حتى الآن بالشكل الذي تستحقه كواحدة من أهم تجارب الشعر في هذه المرحلة.

**القهر معني أساي في الديوان يشكل العنصر الضاغط في كل النصوص، متخذاً مستويات متعددة وعان متعددة، ومبرزاً شعوراً بالضعف الذي ينبع من داخل الإنسان:**

مغلوب .. بأسرار ضعفي مش بقوتك

**(قصيدة: بعض الهزايم فيها شبهة انتصار)**

**ضعف شامل يبرز هذا القهر المفروض علي الإنسان فرضا وفي قصيدة ( العشق من غير أمل) شهروا الخناجر عليه صفين علي الجنبين وفي قصيدة (باسم بهاء).**

**الشمس جمرة تكوي في الإسفلت وتأكل في سطور الكتب ولا توجد ظل للشجر لكي يرتاح ولا يوجد قلم يصبر علي هموم. وللشاعر قصيدة أسمها(هموم كل يوم بيوم) يقول فيها:**

سرقوكي مني .. ودهسوا غصب حوش الدار

خزيت .. غلبني لانكسار والسن ..

قعدت ع المصطبة كما عجايز الفرح ..

اشكي مرار الرضا وأتنشق علي الأخبار.

**ويصرخ الشاعر في قصيدة كرابيج علي ضهر الوطن قائل (علي فين أهاجر)، لقد سدت السبل أمام حتى أنه لا يستطيع أن يستنجد بذاته، إنه مكمم يستشعر الخرس:**

– إخرس .. وكُفّ .. أمسك لسانك

أنت لست مؤهلاً منذ الرضاع

**(قصيدة: فتافيت فرح فتافيت هموم)**

**وفي القصيدة ذاتها يتكلم عن (ذل النفي في الصحرا/ وأدب الخرس)، وفي قصيدة أخري (آهات الشيخ إمام الأخيرة):**

**–** تغني للحرية وما تتكلّمش

**هناك قوة خارجية تمارس سلطة القهر والشاعر دائم الإشارة إلي العسكر( عسكر علي كافة منصات الوطن مرصوصة– قصيدة النيل ما ينساش عياله ) وفي قصيدة أخري يقول:**

– والعسكر مفلس ومستقوي..

صاحب مزاج نكدي وغلاَّوي ..

بيجز علي أسنانه ويغلس

وعيونه محشية بقطن وخيش

**يتمثل الشاعر روح مقاومة القهر ويسير في الطريق نفسها التي سار فيها الشعراء الثوريون في العالم كله، ناظم حكمت وبابلونيرودا وبول إيلوار بل ونكاد نستشعر روح برتولت بريخت في البيتين الآتيين في القصيدة الأخيرة من الديوان.**

– الفلكة والمقرعة

جزا اللي ينطق لأ

**وكذلك عندما يضع الشاعر يده علي حالة الاختناق الاقتصادي التي يعيشها البسطاء وإحساسهم بالحاجة والعوز في الوقت الذي تنفق فيه الأموال الباهظة لتلبية رغبات ترفيهية في أنظمة الاستهلاك المسعور للمواد الزائد عن الحاجات الضرورية، يمس الشاعر روح المكابدة الشعبية لفقراء الوطن ( متغطي بصمتي .. بعد ما عشت سنين القحط) ويكسب هذه الروح نكهة هزلية: قال الفتي فرجت بنص الآجر) (!!) ويتقاطع النص التالي مع دوامة الذين يعانون من داخل الماكينة الرأسمالية في لحظات واقعية حية:**

ندحرج البراميل ..

نشيل بالات الخيش ولا سكرتَه ..

نشحم الموتورات

نلف تيل العجل ونعبّي ضل ف قزايز

نحيل النسوان، نقول مواويل

نربي دود الصّوب

نغسل صحون الفنادق ندفن النفايات

نحفر خنادق في حروب العرب.

**(قصيدة: مارش انتصار الهزيمة)**

**ومن داخل خيرة الشاعر السياسية نطالع هذه الصور ذات الطابع السياسي الذي نطالع هذه الصور ذات الطابع السياسي الذي يشي بإنتماء الشاعر وتوجهاته وانحيازه ورفضه فنري إلي هذا الشاب المقهور في الحياة وفي السجن السياسي (أو شاب ماقدرشي علي الإضراب فمات مغلوب .. ماعرفش يأخذ بطانية إضافي خطفه الجوع – قصيدة نهاية محتومة). كما يتعرض الشاعر لنوع آخر من القهر في قصيدة (طلع البدر)**

**ليه آنت لوحدك يا سيدنا – بجد الجد**

**عاقد القسوة علي قد جبينك**

**ليه وحدك يا سيدنا وكإن قتلتنا لك حد**

**رافع عَ الكل عصايتك ماحناش عاجبينك**

**رايتك سيف مسنون لرقابنا حد القهر**

**حتى ( الحلم زى العلم صار دخان) كما جاء في قصيدته ( ما الحب إلا للحبيب الأولي) أي أن الشاعر فقد حتي القدرة علي اللجؤ للحلم. وهكذا يظل القهر متسلطاً علي الديوان بكامله بداية من عنوانه( يوميات مدينة مكسورة الجناح) مستخدماً المعني الشعبي الذي يعبر عن القهر بانكسار الجناح.**

**ويظل الشاعر في ديوانه يتابع رموز السلطة بكل أشكالها المباشرة أو السياسية آو الاجتماعية بما توحي به من دلالة الحصار المضروب علي الإنسان البسيط: العساكر– الحرس – البورصة – السوق – الفلوس – المحاسب – الأستاذ – الحزب – الجامعة – سيدنا – العمدة – العمداء – المفكرون – النواب – المكاتب – الخلفية – البشوات – النفط – السجن – القفص – التجار.. الخ كما يحدد شكلا أخر من إشكال القهر ترسمه الخيانة:**

في ارض باعت حصير أبو ذر لأميه وللغلمان

الدم صار ميّه

(قصيدة: كرابيج علي ضهر الوطن)

**(2)**

**الحس السياسي لصيق بتجربة الشاعر نشم رائحته في كل معني يورده، فهو ينطلق بالأساس من فكرة الشاعر السياسي الذي يؤمن بدور الساسة إصلاح الوضع الإنساني وفي استنارة الإنسان بكل طوائفه وطبقاته وأديانه، في قصيدة( مالحب إلا للحبيب الأولي) يغني للجماهير المصرية ويجعلها تقف صفاً واحداً في مجابهة التخلف الأستغلال، ويناقش قضية التطبيع في قصيدة عنوانها( والنيل مايعرفش عبري) وهي قصيدة تؤكد الروح المصرية الخالصة التي تقاوم أي تدخل أجنبي يسعي إلي تهديد كيانها، وفي قصيدة (آخر تخاريف) يهاجم هؤلاء الذي تبولوا في أطباقه باسم القومية، وفي القصيدة ذاتها يتكلم عن حصار بيروت وعن السجن الحربي وعن عبوره متاهة سيناء وعاصفة الصحراء وفي قصيدة**

**( نهاية محتومة) يغني لأجل فقراء العالم الثالث ويكشف تحكم الدولار في رأسمالنا الوطني وفي قصيدة (غنوه في حب مصر) يتكلم عن مصر الجنة الاقتصادية سنه 2000 حسب الوعود الرسمية وعن البوسنة والجوع في الصومال ويتكلم من حفر الباطن ويعود إلي الوراء قليلاً فينادي عم جمال عبد الناصر الذي قال بأن العدالة ستكون طريقنا، وفي القصيدة ذاتها أيضا: أنا إلي منذ البداية لإسرائيل أسلاب**

**وبحجة التحرير أتبادلوا قبل الرصاص في المعركة .. الأنخاب وفي الديوان قصيدة أقرب إلي النشيد السياسي اسمها ( مارش انتصار الهزيمة) تمتلئ بروح شديدة التهكم علي كثير من الأوضاع السياسية( البيت ماهواش سقف فوق حيطة.. ولا الوطن غنيوه وخريطة .. ولا الثقافة مجلة الأدب والنقد)، أما القطع الخامس من قصيدة (هموم كل يوم بيوم) فهو أغنيه مريرة يهديها إلي نيل مصر:**

النيل ده مسموم ..

يا راكبُه ستميت عفريت ..

الضفتين بينزوا كدب .. وملح ..

كلت البارومة غطيانه

لط طميه الزيت ..

مافيش مزهر في شطه

غير عديم الطرح

**ويصل بنا هذا المقطع إلي تصور يوضح موقف الشاعر سمير عبد الباقي السياسي فهو موقف رافض وليس موقف الراضي أو المتسامح بل هو يمس جذوة الثورة العميقة في نفوسنا، هو في حالة انتقاد يقظ للأوضاع السياسة لكي يجسد ضمير الشعب وتطلعه للحياة الكريمة:(الحزب جوز ولادة لامنا الغولة – قصيدة آهات الشيخ إمام الأخيرة) وفي قصيدة أخري يسخر من هاموش الأحزاب . إنه ينتقد الأنظمة السياسية التي لا تفي باحتياجات الناس في المشاركة السياسية وصنع القرار، وتوهان هذه الجماهير بين القهر والليبرالية، ونحس بأن تجربة الشاعر امتداد للثورة الشعبية الممتدة علي طول التاريخ، هذه الثورة التي نقل " الجبرتي" هتافاتها في احتجاج الشعب علي احد الولاة الذين زادوا من الضرائب، عند من تجمع العامة ينشدون أمام بيته:**

باشا يا باشا  ياعين القملة

مين قالك تعمل دي العملة

**حسَ الانتقاد السياسي يلازم تجربة الشاعر دون أن يأخذ صورة المواجهة الصريحة المباشرة في كل مرة بل قد يأخذ شكل التقنع والرمز والتمثيل الكنائي الأليجوري، ولكنه يظل مصاحباً لنصوص الشاعر:**

البلد دي عمر ما ح يجف بيرها

يكفي يوفي بُق ميّه وخُص خوص

كل سبوبة ألم .. تحبل بخيرها

رغم أنياب المماليك اللصوص..!

(قصيدة: وطن للموت)

**(3)**

**تنطلق هذه الشعرية من ركيز الذات الجمعية، لهذا فسيكون من الطبيعي ان تتجمع كل المعطيات الشعرية بمستويات المختلفة حول هذه البؤرات المشتعلة المتوهجة، بؤرة ذات الشاعر التي هي رمز للنقاء في قلب العالم المحبط الكئيب، ذات الشاعر هي خلاصه، هي نبؤَته وقدرته الممكنة علي تجاوز عراقيل الواقع الصعبة وحصاره العنيف لكل أمل تحلم به هذه**

**الذات الطاهر النبيلة. سيواجه الشاعر الظلم الاجتماعي مسلحاً ببراءة النهائية، وستظل هذه الذات هي درع المقاومة الحصين لمواجهة الخطر، الشاعر في الصفحة الأولي من القصيدة الولي عريان يسبح في شطوط الوجع، وفي قصيدة(آهات الشيخ إمام الأخيرة) يركز الشاعر علي معني ذاته الوحيدة التي تواجه التجميع والتشتت:**

أتجمعوا العشاق .. وأنا لوحدي..

واتفرقوا الأشتات علي الأشتات ..

وأنا لوحدي..

**ويستمر المعني متصلاً في القصيدة( عايز أموت وحدي) ويصبح في القصيدة نفسها هو الشاعر الشهيد:( تكفنوني في تراب ألحاني من تاني.. وتدفنوني بدمعتي علي خدي..وتبخروا المطرح ..).وفي قصيدة:(خواطر شاعر ماشي في جنازته) التي يقصد بها نفسه بشكل رمزي تعود صورة الشاعر الشهيد من أجل الوطن مرة أخري:**

ياللي ضاع عمرك مسايره للمسيرة

أخرتُه فقست علي عينيك الغربة

عيشها متهوم بفقدان البصيرة

ومت متسمم بأكاذيب الأطبة

**وفي المقطع الخامس من القصيدة يطلب الشاعر من جمهوره ان يبتسم وهو يرثيه، وكيف انه مات باكياً حسرةً علي تاريخ أحزانه وسجونه وبالرغم من حماسته وجنونه فقد تكفنت أحلامه في ظنونه.**

**وفي المقطع الثالث من قصيدة(وطن الموت) تستمر أيضا صورة الشاعر الشهيد:**

ياهلتري ..أقبل قصايد العزاء

وارضي بتعاطف المجاملة في غباء

من اللي شمتوا لما ريحتي كمكمت .. فاحت

وجتتي علي ضفتين النهر

كشف سترها .. وباحت ..

**ثم يبين الشاعر كيف نشف دمه في عروقه وكيف جف في القلم، ثم يعود ليؤكد مركزية هذه الذات فلا أحد يمكن أن يكون حزنه بقدر حزن الشاعر، حزن الشاعر هو القضية المركزية التي يحدد بالقيام إليها أي حزن آخر:**

مين فيك وقدي وقد حزني ،، حزين ..

أنا اليتيم

**ويستمر هذا المعني ركنا أساسيا في قصائد الشاعر ففي قصيدة(آخر تخاريف الخلاق اليائس في ليل اليوم السادس) نريالي الغوغاء السوقية( فراكة) طين يديه يبيعون (هرابيده) للشعراء الأنذال الدهماء الذين هم أصلا مواليه وعبيده، ونري إلي الزعماء امتصوا وريده، وفي قصيدة(غنوه في حب مصر) يكرر الشاعر تعبير ( أنا اليتيم)مرة أخري، ويضيع دمه بين المماليك، وفي قصيدة(هموم كل يوم بيوم) يسرسب نفسه من شقوق الحيطان حتي تطلع الجريحة وتنتقل إلي خارج التاريخ ينفضها من الحزن ويفردها مثل الرغيف الخبز ثم يغطيها بالجريدة ويتركها جثة ملقاة في براري المدينة. ونطالع أيضا نموذجين يعبران عن المعني ذاته:**

* أنت المغني الوحيد من يوم ما مات الملك

المنقذ المستحيل للفن والإبداع

(قصيدة: ديالوج علي القهوة)

* أنت الجميل النبيل ما دمت نيل وحدك ..

ومادمت مش مفهوم وحدك مفيش قدك..

(قصيدة: نهاية محتومة)

* أنت البديل الجميل للعادي والمسموم ..

فكُن وحدك ..

وحدك بحريه ح ترفرف تقب تعوم ..

فعوم وحدك

(القصيدة السابقة)

**التوجه إلي الذات هو قاعدة النص الشعري في هذه التجربة وإذا تأملنا أي قصيدة في الديوان سنجد إنها ستناور موضوعها طويلا ولكن هذه المناورة لابد وان تكون في حالة التفاف حول الذات، ولتكن القصيدة الطويلة(كرابيج علي ضهر الوطن) مثالاً لمناقشة هذه القضية، فالقصيدة بداية من عنوانها تطرح هموماً ذات طابع سياسي، تبدأ بالتعبير عن قهر الأب والأم في البيت المصري، ثم تنتقل القصيدة إلي التاريخ العربي والي الممارسة الشعبية في الموالد الدينية ثم تقدم ريف مصر وجمالها وسماحتها وإنسانها ثم دورة رأس المال النفطي فيها وهكذا، وبالرغم من كل هذا التنوع فالقصيدة تتكرر فيها كل بضعة سطور جملة**

**(سامحني يا محمد) وكأن هناك شعور بأن أزمة الوطن هي بالأساس أزمة الذات التي تحمل شعورا بالإثم الذي يطلب المغفرة، وعلي هذا النوع المنوال أيضاً يمكن ان نسلط العين الفاحصة نقديا لاختبار باقي قصائد الديوان، فقد تحولت مرثية الشيخ إمام في قصيدة (آهات الشيخ إمام الأخيرة) إلي تعبي حميم عن هموم الشاعر وقضاياه وأشجانه وهكذا تكون الذات بمعناها الفني الخلاق هي ركيزة النص الشعري عن سمير عبد الباقي**

**(4)**

**ترصد القصائد بحساسية شديدة هذا التغير الاجتماعي الذي تعيشه الحياة الجديدة من خلال التقلبات الشديدة التي تتوالي علي مواقع قزاز البترينات) في القصيدة الأولي يوحي بتغير شكل التعامل التجاري بل وبشكل التعامل الأخلاقي والسلوكي بين البشر وفي قصيدة(أسباب):**

أولادنا خرجوا من الكتاب

واستبدلوا مقرعة الشيخ مسعد

(بالألتوسوبرانز) .. والقبقاب ببيانو

واللوح والكوبيا بنشيللو وكمان.

**وفي قصائد أخري عرف عيالنا الكليب والساكسفون والبوب، وتعلموا كيف يتعاملون مع "باريس" او"بون" وانتشرت البوتيكات وشركات الأموال ومصانع المنتجات الترفيهية ومصانع اللبان:**

– وماعدش في المشربية أي بنت بنوت

(قصيدة: مارش انتصار الهزيمة)

**لقد تغير الواقع التقليدي، وفي القصيدة ذاتها يقول:**

**( انسي اللي كان يا رفيق) ويتعجب كيف صار الكمبيوتر بديلاً للآلة بوزن الشعر بدلاً من الأعاريض التقليدية، ويهتدي الريموت لأسرارنا وهكذا، ينتبه الشاعر للتغيرات الكبيرة التدريجية ويتكلم عن الصراعات الاجتماعية التي تنشأ من خلال صعود ضرورات واحتياجات جديدة تتناقض مع ما هو مستتب في إطار تبدل أنماط الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي والفكري والثقافي، هناك تبدل واضح في مجمل الأفكار والتصورات والنظريات، هناك تغير جزري يصيب السيكولوجيات الاجتماعية. والشاعر بطبيعته الثورية لا يستطيع إلا ان ينتقد هذه الأوضاع المزيفة التي يتم الانتقال فيها بشكل القفز والتلصيق غبر المبرر:**

الميّه في قزايز

والميضة أراسيمكو

(قصيدة: وطن للموت)

**والأنتقاد سمة أصلية عند الشاعر يمارسه من خلال هذه السخرية العارمة من كل زيف يخرج برأسه هنا او هناك، يقول في القصيدة نفسها:**

علي اليمين المشايخ صف قبل الدكاترة

والإعلانات وأهل الهوى ع اليسار

والنعش منقوش بشعر قديم من الجامعة موزون مقفى

**وفي المقطع الثاني من القصيدة يشرح لنا الشاعر مقتضيات الزعامة في هذا الذي (يسوق الأمة.. بسيجار هافانا.. ونسكافيه باريس) ويصف الجنازة الرسمية هكذا:**

الدفنه راح تبدأ بضرب النار وقراية القرآن علي المتاريس..

علي لحن نوبة رجوع خمسه يونيه ..

بالساكس .. والفانفار.!

**وتظل قصيدة(وطن للموت) معبأة بهذا الحس الساخر والمتصل الذي يحمل مرارة وانتقاداً عنيفاً لمقدرات الوطن السياسية( الله أكبر يا بلادي استسلمي .. بعض الهزايم فيها شبهة انتصار).**

**من أكثر ملامح سمير عبد الباقي وضوحا سخريته، فهو الشاعر الساخر خالق النكتة وصانع المفارقة بجدارة ليتضح العيب الاجتماعي او الثقافي او السلوكي من ناحية، وليثري النص الشعري في الوقت نفسه من ناحية آخري بمعطيات ذات قدرة عالية علي تفجير الدراما الشعرية، فسخرية الشاعر تحتوي طاقة تعبيرية عالية، وتحتوي هذا القدر الكبير من الكاريكاتير ذي النكهة المصرية الخالصة، والسخرية بالطبع لا يقدر عليها إلا العارف الخبير ولا يستطيعها صاحب النظر السطحي البسيط فالسخرية تعبر عن حكمة الحياة، وتجسد دروساً في الفكر والأخلاق وتمثل إعادة نظر في كل ما يثبت او يتجمد من قيم بالية، أذن فالسخرية يبعثها دائما فكر عميق نحو التجديد والتطور. في قصيدة ( الليل ما ينساش عياله عندما بيفيض) يسخر الشاعر من السلطة الفكرية، وسلطة العقل التقليدية التي خبت وولي زمانها:**

ومدجنين خياب ..

عمداء وعمدا ودكاترة مفكرين نواب

أجسام بغال عزها في حلم عصفورة

أحلامنا ذل وأيديها الكتع مكسورة

**ويوسع الشاعر من سخريته لتمس قطاعاً أعرض من المزيفين في قصيدة (آخر تخاريف) التي تبدأ بالاعتذار الساخر:**

عفوا يا حضرات العزة ومن نكرات

م القلة أصحاب العلة الهمّل واللي ما فيش

للعرّه الكمّل لأصحاب النظر الشيش بيش

م البكوات الصبوات

للمضروبين بالبلغة ورا لقم العيش

عفوا يا أصحاب البال الرايق من عسل الريق

ويا أرباب الصبر الطيب والهم البايت

والرزق الضيق ..

عفواً يا كل البشر .. المخاليق

**ويستسمح الشاعر بشكل ساخر لأهل الحداثة المزيفة من جهل المحدثين، ويقوم في القصيدة صورة الشاعر الزمبلك ( محرر النسوان من خدعة المساواة وم الحرمان) وهو يشحت البيرة في مقهى المثقفين ويحرك الكون بطرف لسانه الأكتع، أما قصيدة (مونولوج داخلي) فكلها سخرية مريرة من الذات والواقع :**

أدي أنت مصر من كام سنه

وعزيت جميع الغرز ومطابخ الكشري ..

عمال تعارف في الكلام وتلبيخ..

بتبكي ع الحرية وأنت مكحكح ..

**وفي قصيدة ( نهاية محتومة) يكمل الموقف الساخر بتقديم صورة شاملة شديدة السخرية:**

شكراً .. يارب الحداثة ..

لكافة المحدثين الحدثه والأحداث

**(5)**

**وعلي الرغم من سعي التجربة لطرح معاني القهر في صوره المختلفة وطرح هذه الروح لانتقاديه الساخرة، فالتجربة لا تتوقف عن طرح البديل الذي يمثل الأمل الإنسان في التحرير وفي التخلص من معوقات المسيرة البشرية في التخلف والظلم والاستغلال لكي يصبح التفاؤل رؤية شعرية تصمع في متلقيها قدرة علي حب الحياة وقدرة علي الاستمرار والتقدم، فعلي الرغم من أن غنوه الشاعر أشبه بتعب الفجر (قصيدة الشيخ إمام الأخيرة) فان دلالة الفجر نفسها توحي بشكل رمزي، بهذا الأمل القادم، وفي قصيدة (دو..ري..مي) نقرأ هذه السطور الرومانسية الممعنة في تفاؤلها:**

واحد زائد واحد أكثر من مليون

أتلوني يا زهور يا حروف ..

أحلامنا بوسع الكون ..

**وفي قصيدة( طلع البدر) يتخذ من الشمس رمزا للتوهج بالحب في صيف النيل عندما تتخلق في الحب والنبق وتمر الحنة والتيل، وفي قصيدة( الجنة .. ألوان) يقدم هذا المقطع الملئ بالأمل وبحب الوجود والتفاؤل عندما يوقظه الفن الرفيع من الفن التشكيلي والموسيقي لمبدعين مصريين وعالميين:**

أزاي أتحمل عالم من غير السيمفونية السادسة

وموال ناعسة وايزيس مختار وباليه جزيل

وزهور فان جوخ وجمال الواسطي

وعيال البهجوري وحجازي..؟

**أزاي أطيق الدنيا من غير أنغام الشيخ رفعت لما يرتل اقرأ او الرحمن أو من غير الأحلام اللي بتملا أيديه لما أقرا فؤاد حداد**

أزاي أحسن العيد من غير ثومه..؟

وازاي يومي اليومي يعدي

**ومن غير مقامات وقدود العود وحكاوي نشيد الإنشاد وهويت الشيخ سيد وآهات فيروز.. أزاي ..؟**

**وفي قصيدة ( النيل ماينساش عياله) يوزع الكراسات علي الأطفال لتشهق في حصص الرسم او تغرق في بحر التاريخ، او يغويها نداء الجغرافيا للترحال، ويظل الشاعر يتعشم في وعد المبدع للإنسان، كما قال في قصيدة (أخر تخاريف) وينهي عددا من قصائده بأبيات مليئة بالتفاؤل مثلما أنهي قصيدة (كرابيج علي ضهر الوطن) بالحلم بأن يقرأ باسم العدل والحرية فهذا هو قدر الإنسان لآن( العيش بيخمر عرقه بدم خبازه) وانهي قصيدة( أتبسمي) بالغناء( لجلن مانرجع سوا في مواسم الأمطار .. نحبي في حوش الدار) علاوة علي اسم القصيدة نفسه وعلي المعاني الدافئة المشرقة التي وردت فيها من مثل:**

**( الحزن مش لايق علي عنيكي).**

**بل يتفشي معني آخر شديد الأهمية في القصائد جميعها أيضا هو معني الانطلاق والثورة، يقول في القصيدة الأولي:**

أطلق لجام القول وصهلله الفرس..

امسك حجر مسنون .. جرس

.....

اقلق رضا الصور اللي مكسورة العيون

لساك صوابعك قادرة علي بدع الحروف أم البدع

**كما يغني الشاعر لذكري الفنان الثوري السيخ إمام، ويتعمد الانتقال بالضمير من الـ (أنا) إلي ( النحن) لكي يصل دائما من الذات المفردة إلي الجماعة إلي النشيد الجماعي، نشيد عشيرته المتخيلة لمواجهة العدو المشترك كما جاء في دراسة" إبراهيم فتحي" المهمة في كتاب الشعر الأول للشاعر، فالذات هنا مرتبطة دائما بالجماعة، تنطلق من خلالهم وتعطيهم إضافتها في الوقت نفسه، ولنتأمل هذا النشيد الجماعي في قصيدة( الجنة .. ألوان..) .**

إحنا الإنسان – عمر ما خوفنا الجوع

حلبنا بالحنية الحجر الصوان

ولعنا في عز الضلمه النار المسحورة

دوسنا في قلب الأشواق نرسم صوره

**(6)**

**المعنيان السابقان القهر والأمل يستخلصهما الدرس بغرض التحليل النقدي، لكن المعنيين عند الشاعر ليسا مستقلين عن بعضيهما وهذا سر نجاح تجربة الشاعر الغنية فهذان المعنيان( مثل باقي معاني الشاعر ومستويات بناء نصه) متداخلان متفاعلان للدرجة التي يصعب أن نستخلص أحدهما بشكل صاف، وهذا ما يصنع مناورة الشاعر الذكية والتي تشبه وقع الحياة نفسها، ففي الحياة تمر علينا لحظات كثيرة معتقدة الدلالة ومتفاعلة المعاني تحتاج منا التأمل لفهم معطياتها الأولي المكوة وكيفية تفاعلها، وفي قصائد الشاعر نحس بالتفاعل الخفي بين المعطيات كما نحس التقابل الواضح بين المعنيين اللذين يتلازمان معا في مرات بطريقة تبدو وكأن كل معني يشترك وجود الآخر:**

* انك مع انك نايم ميت ..

لساك واقف حي وإنسان

( قصيدة: خواطر شاعر ماشي في جنازته)

*وتميز بين الفكرة الدون الحمضانه

والفكرة اللي تزهر فوق شجر نهار

( قصيدة: دو..ري..مي..)

* إيه اللي ح نقوله ورده في زمن كداب

( قصيدة: النيل ماينساش عيال)

**(7)**

**معطيات الشاعر واقعية وبسيطة، يتكلم عن الشيخ إمام والنيل والقهوة ويتكلم عن اصغر التفاصيل( ع الرف .. حبه من طبيخ بايت) عن السمسار الأكلنجي عن القاهرة ومواسم البراسيم، ويتكلم عن براويز الصور وضليلة الجميز وطعم حب العزيز وغطيان البصل وطابخ الكشري وحيطة نفق شبرا وهكذا، يلتقط الشاعر عناصر حقيقة واقعية يدخلها إلي نسيجه الشعري الذي يتقاطع مع الحلم الإنساني فيحي الغطاء المتبادل بين الشعر والحياة، لأن حس المعايشة يعطينا معني الشهادة ومعني مشاركة الآخرين، والواقعية هنا ليست جامدة منتهية بل هي واقعية تتفاعل عن المستويات المجازية في رؤيا الشاعر فالطبيعة المجازية سوف تصبغ هذه المعطيات الواقعية بروح خاصة تبين طبيعة تجربة الشاعر الذي يحدد بنفسه أسلوبه الذي يمزج بين الواقع والخيال:**

فيخلط زى الأطفال

(قصيدة: خواطر شاعر)

**كل المعطيات الواقعية التي يطرحها الشاعر مصاغة بأسلوب مجازي حالة جمالية متعددة الدلالة، نحن بإزاء نص شعري مركب في صنعه مستويات متعددة، لذلك فكل وقفة يطرحها الشاعر وكل عنصر ستعدد دلالته بشكل يظل يتزايد كلما واصلنا القراءة لعدد أكبر من السطور.**

**في قصيدة ( ما الحب إلا الحبيبي(الأولي!) يبدآ الشاعر السطر الأول من القصيدة بمناورة مجازية: (كإنها المنصورة .. أو مش هيه) وبالفعل نظل منذ البداية نمزح بين مدينة المنصورة وبين معاني عديدة أخري في مصر كلها، وهي فتاه عاشقة محبة وهي فتاه**

**عاشقة محبة وهي الطفولة وهي الأمل القادم وهي الزمان كله وبخاصة عندما يقول(فشردتني علي جسور العصر) فنحن بإزاء مراحل وعصور زمنية عديدة في تاريخ مصر.**

**(8)**

**يمتلك الشاعر مهارة الخيرة والحنكة الفنية المتمكنة لسنا بإزاء شاعر بسيط بل هو شاعر ذكي عميق الرؤية يعرف كيف يلتقط عناصره وكيف ينسجها فتبدو سهلة عفوية ولكنها في الحقيقة تعبر عن معرفة طويلة حكيمة بفن الشعر وإذا تتبعنا المقطع التالي وهو السادس من القصيدة ÷آهات الشيخ إمام الأخيرة):**

فضلت ماشي لآخر الصفصاف

خايف أخاف اللي مخوفني

فرحان قوي بحس الوطن في النخل ..

حتي أما ملك الموت حضر – يخطفني

ماكانش عارفتي وأنا فكرته

ساعة ماشفت البنت ع السلم ..

وكأن كل اللي كان حواليه بعترته كأنه خيال..!

**نلاحظ شجاعة الشاعر القادرة علي مزج العناصر وهي شجاعة لا يمتلكها سوي الشاعر الجرب، فالانتقال من أي سطر إلي السطر الذي يليه في المقطوعة السابقة سيجعلنا نحس بدهشة هذا الانتقال ولكن تأمل المقطوعة سيجعلنا نصل إلي علاقات عديدة بين المعطيات التي وردت بشكل عفوي فيها، فهناك علاقة تآلف مثلا بين الصفصاف والنخل، وعلاقة تآليف بين الخوف والعطف، وعلاقة تآليف ثالثة بين المشي لآخر الصفصاف وطلوع السلم الذي تقف عليها البنت فالعمليتان تمثلا نوعا من الحركة نحو هدف شبيه بالحلم وهكذا كما قد نجد علاقات ضدية بين الخوف والفرح مثلاً أو بين الحياة الرومانسية التي يطرحها المقطع وبين حضور ملك الموت علي سبيل المثال وهكذا نحس بحركة لاوعي الشاعر الدقيقة في أحداث علاقات مختلفة بين المعطيات التي يطرحها بشكل يبرر التركيب الشجاع تبريراً فنياً يمحو الغربة التشكيلية التي يمارسها والتي تنتج جمالية مثيرة كأننا بإزاء طفل يلعب بمعطيات الوجود لعباً بريئاً يثير متلقيه ويبعث فيه دهشة الفن العميقة ولشاعرنا أعاجيب وابتكارات بديعة تجئ بين الحين والحين في أثناء السرد بشكل بارق داخل السياقات الشعرية مثلما قال ( خايف أخاف إلي مخوفني) في النموذج السابق**

**أو عندما يقول ( يجوز راح انسي إنها نسياني) في قصيدة ( ما الحب إلا للحبيب الأولي ) كما قد تصعد إلي سطح القصيدة أيضا صور شديدة الغرابة من مثل ( عجينة الطعمية اللي قرفانه من الجرسون – قصيدة ديالوج علي القهوة) والأساس الأول لهذه المبتكرات سره السرد الشعري فأسلوب الشاعر لغوياً هو .. السرد المتصل كثير الحكايات والتعليقات والتفاصيل والملاحظات والمعارف، سرد متصل لا يبقي ولا يذر كأن الشاعر يريد أن يغزو العالم وكأنه يريد أن يحيط بكل شئ يتعلق بموضوعه فلا يجعله يفلت منه، انه هوس سردي يجرف كل ما يقابله في ذات الشاعر وفيما يحيط به من أشياء في لحظة الكتابة الساخنة، وحيث تعمل الذاكرة بشكل شديد الفعالية كأنها كنز عميق يظل يمنحه العناصر والمعطيات الشعرية بسخاء، ومن هنا تبرز الدراما الشعرية الغنية عند سمير عبد الباقي، دراما تعطينا حساً ملحمياً يقيم القصيدة من خلال مشروع عملاق متعدد المنظورات يتعامل فيه العفوي بقدر ما يتعامل الذهني فالشاعر بلتأكيد يخطط لقصيدته ويرسم لها مساراً عقلياً محدداً قبل الكتابة ثم يترك الجوانب العفوية لتعمل بكل طاقتها لكي تغرق هذا المخطط إغراقاً تاماً فتلغي بعض تفاصيله وتعمق بعض تفاصيله الأخرى وتضيف إليها أبعاداً لم تكن مرصودة في التصوير الأول وهكذا يمزج الشاعر بين مقاطع ذات دلالات مباشرة واضحة ومقاطع أخري ذات تلميحات جمالية أو فانتازية آو خرافية فعندما يطرح هذا المقطع المباشر يكون قد ضفره بين مقاطع أخري بعيدة عن المباشرة:**

ياسيدنا .. الحق صريح والكدب علي النفس قبيح

فقول لي الحق

ياهلتي وأنت بتتأمل ما جري

قدام او ورا

خايف علي دنيا

وألا خايف من دينك ..!؟

(قصيدة طلع البدر)

**كما يتعمد الشاعر سواء بشكل مقصود او عفوي ان يحدث نقصاً ولو بسيطا في المشهد الذي يقدمه، وهو عمد فني يدفع المتلقي إلي التساؤل وإعادة النظر والإحساس بشئ من الغموض الفني المحبب فعلي سبيل المثال عندما يتغني بالسلم الموسيقي في قصيدة (دو..ري..مي) يقول(دو..ري..مي..فا..صول..لا..دو) منقصاً الـ(سي) ولهل ذلك يتوافق مع التفعيلة او النظام الموسيقي للبيت لكنه يدفع للتساؤل، هل يريد الشاعر علي سبيل المثال ان يشعرنا بخلل في حسًنا الموسيقي مثلا. هل المسألة**

يكمن وراءها هدف مضموني مقصود، هل المسألة مجرد تسرع وإخفاق في الحبكة اللغوية وبخاصة ان البيت التالي(ياخلق ياهووه) لن يتسق مع السطر الأسبق موسيقيا بإضافة (سي) ونحس بما يماثل هذا أيضاً في المقطع نفسه عندما يتغني ( للخبازه العجانة النساجة الدكتورة الرسامة.. الفنانة اللي بتحدد أبعاد الصورة..) فقد ذكر الشاعر بعض المهن التي يمكن ان تمتهنا المرء وأهمل غيرها مما يدفعنا إلي طرح مجموعة أسئلة بالأسلوب الذي مارستاه في المثل الأسبق.

ويؤكد الجانب العقلي او التدخل الذهني الذي يجريه الشاعر التقسيمات البنائية التي يفصل من خلالها نصوصه الشعرية فهناك ثلاثة نصوص في الديوان تبدأ ببدايات زجلية في مقدمة النص هي ( خواطر شاعر ماشي في جنازته)و( وطن للموت)،و(كرابيج علي ضهر الوطن) إما النصوص نفسها فقد تراوحت بين نص طويل او عملاق بدون تقسيمات داخلية مثل قصائد(فتافيت فرح فرافيت هموم)و( ما الحب إلا للحبيب"الأولي") و(بعض الهزايم فيها شبهة انتصار)و(كرابيك علي ضهر الوطن) و(غنوه في حب الوطن)و)مارش انتصار الهزيمة). أما باقي القصائد فهي إما مقسمة إلي مقاطع قصيرة نسبياً وغير معنونة مثل قصيدة( والنيل ميعرفش عبري)أو مقسمة إلي مقاطع طويلة معنونه او غير معنونة وهي ما تتبقي في قصائد الديوان.

التقسيم البنائي إذن هم يؤكد هذا التدخل العقلي كما سبقت الإشارة والفن الحديث كله قائم علي التفاعل بين ما هو ذهني مقصود وما هو عفوي ينتج في إثناء الممارسة الكتابية بالصورة التي أنجزها الشاعر سمير عبد الباقي وابدع فيها إبداعا كبيرا فهو يتدخل لاختيار مسار النص بل وقد يختار المعطيات التي سيعالجها شعريا ثم يطلق للاوعيه العنان لملء هذا المخطط بكل ما يمكن أن تغطيه طاقته الشعرية الغنية.

**(9)**

ويمتلك الشاعر أيضا قاموسه اللغوي المتميز ولكنه بالرغم من تميزه يتسع يوما بعد يوم ويتوالد في إطار التوالد الناتج عن التركيب الشعري لغوياً وتشكيلياً وإيقاعياً، فهو إذن ليس قاموساً محدداً او جامداً بل هو متجدد الألفاظ ومتجدد في الصورة التركيبة التي تنشأ عن تركيب هذه الألفاظ، يلتقط الشاعر اللفظ العامي الذي يستخدمه الإنسان البسيط، وهو يختلف عن اللفظ العامي الذي يتكلم به المثقف او ابن المدينة المتعلم الذي تكاد لغته فصحي مسكنة في أواخر، كلماتها.

لقد استطاع الشاعر ان يخصب لغته الشعرية بإضافة العامية البكر في منابعها الشعبية الحقيقة فيستخدم ألفاظا وكلمات وتعبيرات من قبيل فتافيت – فرافيت – يوز(بمعني يدفع) – طرم( طرم سنان التلامذة)– بهلله – يبهلله – صهلله – عازه (لها عازه) – طبلية – حيا الله(دانا حيا الله) – اتهطلت (فاتهطلت ملامحها)– أم البدع – المقرم( آذت العجوز المقرم) – المدردح – العزوه – ع الطبطاب – قبقاب – في عز لهوة الفرح – أرابيز(متعلق في إرابيز الحق) يتشطر ع الردعة – بيهد لأعاد لي في الطور الطلوقه ولا الطحين – يوالس – السحنة – الدريسه – مكروش (مكروش ورا اللقمة) حوش يا حواش – الخ) وفي

**الوقت نفسه هناك استخدام للغة العربية الفصيحة في كلماتها بل وفي جمل كاملة بل حوت القصيدة الأولي عي مقطع كامل ورد باللغة الفصحى:**

– حتي ولو – جلاجل – يمح النظام ..؟!
– حتي ولو سمح الـ .. كفي

لم يدرجوك هنا بكشف الحاضرين

ولست بين المصطفين مقيدا

فارجع وراجع بورصة الأحزاب

وأسأل في سجل المنكرين الموعدا

**ويستخدم الشاعر تعبيرات الفصحى كثيراً وبخاصة في المواضع التي يقصد بها السخرية والانتقاد( رفقاً بالقوارير يا سيدنا .. ما احناش حناش وعقارب – قصيدة الخوف ) وفي المقطع التالي تتدخل العامية والفصحى مرة أخري فيستخدم الشاعر تعبيراً من أيه قرآنيه بلغتها الفصيحة ويستخدم فعلاً من الأفعال الخمسة منصوباً بحذف النون بعد (كي) ويستخدم المفعول المطلق (تدميرا):**

●

**(11)**

**ولأن قضية الشاعر الكبرى هي الجمع بين العناصر المتعددة لصنع الحالة الكلية فإن هذا ينطبق على الموسيقى الشعرية أيضاً فهو يجمع في ديوانه أنماطاً موسيقية متعددة أبرزها يظهر فى البحرين الشعريين (المتدارك والرجز) وهما أكثر البحور انسجاماً مع أسلوب الشاعر وقدراته فهما أقرب البحور إلى النثر والسرد المتصل غزير التفاصيل :**

* أقدر أتصور عالم من غير أشجار

بكفاية صبّار الصحرا .. بديل للخضرة

حتى النخل الأغبر ممكن نعتبره غواية

خ أرضى بالتمر الناشف والجعضيض والجمّار

(قصيدة : الجنة .. ألوان)

* الحزن مش لايق على سلمى ..

فأتبسمّى كل السكك ضلمة

وطنك ماهوش دريان بحد

مطرود على حدود الزمن والحد

(قصيدة : ابتسمي)

**ومن باب التنويع أيضاً فالشاعر يجمع بين شكل الشعر الحر فيما عرف بشعر العامية المصرية وبين الشكل التقليدي العمودي في القصيدة الزجلية وقد بدأت به ثلاثة قصائد افتتاحياتها هي (خواطر شاعر ماشى في جنازته) و (وطن الموت) و (كرابيج على ظهر الوطن) وهذا الجمع بين أشكلين الموسيقيين إنما يشبع لدى الشاعر رغبته في تكوين منظومة جمالية تحتوى كل الأبعاد الفنية التي تم إنجازها.**

**الشاعر محب للموسيقى وعاشق ولهان لها، هناك عدد كبير من أسماء الآلات الموسيقية القديمة والحديثة العربية والأوروبية ورد في قصائده، ولديه قصيدة اسمها (دي .. ري ..مي) صاخبة بالرنين الصوتي الذي يصنعه التركيب اللغوي تبدأ هكذا:**

ياضى العين .. والنبّى ..

يابنتوتى .. ومحبوبتى .. وأمي ..

قاصدينك .. راصدينك .. زى ما راصديبّى

**تلاحظ هذا التشكيل الصوتي الرنان من خلال توازى حروف النون والتاء وانتهاء معظم الكلمات بالياء سواء في آخر السطر أو في داخله وهى ياء يسبقها حرف مشدد بانتظام. وفى مقطع آخر يمكننا أن نتابع هذا الكم الكبير من التنغيم نتيجة للقافية، وللقافية الداخلية واستخدام نغمات التوشيح والتكرار الهندسي للمساحات الصوتية والاستفادة من نغمات الآية القرآنية والكلمات الأيقونة التي تعطى دلالة الصوت:**

الآتي بيتنسم ريحه ما فات

فيخيل بالصورة وبالكلمات

آيات من صنع شباب وبنات

لوحات .. ومسلات وتماثيل ..

ياعينى .. ياللي .. ياالليل

فإذا (الموءودة سئلت)

ردت خلاخيل الخيل .. زغاريد وصهيل

الرب جميل وحليم .. والحب نبيل

نفخت روحه في بطن الأرض اهتزت ..

للألوان الأنغام الأحلام الأزهار والأفكار التقاسيم

لهسيس الريح وهدير الموج ورفيف الطير

لزقزقة الأطفال

ولأحوال العصافير..

**(12)**

**نعود مرة أخرى لمضامين الشاعر حتى لا تنسينا تقنياته مرتكزاته الفكرية ومنطلقاته الشعرية الأساسية فنشير مرة أخي إلى الحس المصري أو النكهة المصرية شديدة التميز في هذه التجربة، حيث الريف والجميز والكافور والقرافة وغيطان البصل من**

**جهة والحي الشعبي في المدينة من جهة أخرى حيث المقهى والسوق والشوارع والميادين، كما يتفشى في التجربة الحس الديني الذي يستخلص جوهر التدين الشعبي فيتعامل الشاعر مع قيم ورموز دينية إسلامية ومسيحية وكلها تشير إلى الجوانب العقلية والإنسانية في الدين ويستفيد الشاعر أيضاً من القيم الجمالية للمعاني الدينية ويستفيد من أبعادها المجازية والرمزية ويستفيد من جوهرها الذي يهدف إلى الحرية والمساواة والسعادة والاستقرار، قد يستخدم الصورة القرآنية (أعجاز نخل خاوية) في التهكم من مظاهر الحداثة فارغة المعنى، ويستخدم معنى (الولي) في التعبير عن التفاف الناس حول معنى إنساني كبير وقيمة إيجابية في حياة البشر يستفيد من افتتاحية النشيد الديني (طلع البدر علينا) في التعبير عن حلم بمجتمع العدالة الإنسانية. كما يثير الشاعر لدينا قضية العمق التاريخي الذي يؤثر على تفاصيل حياتنا العصرية ويؤثر بشكل خاص على الثقافة الشعبية، فالتاريخ في التصور الشعبي يمثل جذور الانتماء الحقيقي لأن أمجاد الأجداد هي عبرة دائمة يتمثلها البسطاء ويتعظون بها، بحيث يصبح الزمان وحدة متصلة، ويرى "عبد الحميد حواس" أنه من هنا تتولد المعيارية الأخلاقية في تقويم الوقائع والأحداث والمواقف ويلعب سمير عبد الباقي على هذه القضية بذكاء الشاعر الماهر فينقل إلى نصه رموز التاريخين القديم والحديث ليغتنى النص بمعنى الكيان المصري وحضوره القوى في حياتنا، فنجد رموز (حاتحور) و (آمون) وأجواء وفنون الفراعنة، ويوسع هذه المنطقة فيتكلم عن التاريخ القديم لشعوب المنطقة كلها من خلال رموز أفروديت ويونس وباريس وهيلانه ثم الأنبياء والأبطال وأيوب وناعسة حتى يصل بنا إلى التاريخ المصري الحديث من خلال قصيدة كاملة أشبه بالملحمة التاريخية في (غنوه في حب مصر) فيتدرج بنا من هجمات الفرنساوية والإنجليز وتاريخ العائلة العلوية حتى ثورة عرابي إلى أن يصل إلى العصر الحديث وهمومنا اليوم :**

ليلنا الضرير طلمس عليه موت الضمير

والحلم في عيون الحزاني الفلاحات ..

من كتر ما شرب الخيانة في العسل ..

وبإسمه داس الرأسمال رأس العمل ..

الحلم من كتر الخجل ..

منها ومني .. طق مات

**أشار "مسعد شومان" بشكل تفصيلي دقيق إلى الأوجه التي استفاد منها سمير عبد الباقي في الأدب الشعبي ونضيف على ذلك أن تعمد الشاعر أن يستخلص من ألأدب الشعبي ما يثرى به تجربته هو تعمد فني مهم في تجربة شاعر يجرى تفاعلاً مقصوداً بين ما يختاره لتجربته من عناصر ومعطيات ذهنية من ناحية وبين تطوير هذه العناصر وصبغها بدفق عفوي جمالي من ناحية ثانية.**

**كان لابد لشاعرنا أن يغترف من أدب الشعب الذي ينحاز له ويقامر بحياته وفنه من أجله، يقترب الشاعر كثيراً من الثقافة الشعبية ويجسدها بوصفها الثقافة التي تجسد هوم العامة، مختلفة عن منتجات الثقافة الرسمية فالشعب هو الذي يخلقها ويستهلكها في سلوك جمعي لا ينسب إلى فرد بعينه ومن هنا تكون مهارة الشاعر الذي يمزج بين هذا المنطلق بوسائله وآلياته المنسجمة مع المتطلبات الشعبية من ناحية وتجربته الذاتية من ناحية أخرى يتمثل الشاعر الأسلوب الشعبي في التعامل مع التاريخ وهو أسلوب لا يعنى بالترتيب التاريخي للأحداث بل يعنى بالمضمون أو الدلالة التي تطرحها هذه الأحداث وهذا ما تعرفنا عليه في عدد كبير من المواويل والقصائد الشعبية يتمثله الشاعر في مقطع طويل من قصيدته (بعض الهزايم فيها شبهة انتصار) ففيه تركيز على القيم الايجابية لممارسات الإنسان في التاريخ دون تقيد بترتيبه الزمني:**

وأنت اللي نجيّت الرشيد

وأخدت بإيدين النبي في عركة أحد

آنت اللي رتبت لصلاح الدين إيراد القدس

وحجارة رشيد

أنت اللي وحدت البحاروه على الصعيد

اخترت نصرة عيسى ورفعته على خشب الصليب

صديت جيوش بونابرطه عن عكا ..

وضحيت بالحسين

**وهناك مقاطع يمزج فيها الشاعر بين الطقوس الشعبية في الموالد مثلاً وبين أحداث التاريخ بأسلوب يتشابه أيضاً مع الشعر الشعبي (انظر قصيدة: كرابيج على ضهر الوطن) كما يستفيد الشاعر أيضاً من المقول الشعبي في ألفاظه وعباراته وأمثلته وحكمه استفادة فنية عالية فقد مس الشاعر هذه المنطقة بقوة لأنه يدرك إلى أي مدى يتميز المأثور الشعبي بجودة السبك والحبكة**

**والإيجاز والترتيب والمجازية ليجسد حكمة الشعب وخبرته ويعبر عن الحياة وظروفها وأشواقها ويعبر عن القانون السائد أو العرف غير الرسمي فيما يختص بالفهم والسلوك والأخلاق والمبادئ الأساسية في فلسفة الشعب (اللهم اجعله خير) (الله يجازى اللي كان السبب) (يسرقها زى الشعرة م العجين) (قلة الحيلة) (يدوخني السبع دوخات) ولا تكفى بالطبع هذه الجمل لتبيان كيفية الاستفادة من العبارة التي يرددها الشعبيون ولكن يكفينا في هذه العجالة أن نشير إلى هذا المقطع الذي يقصد به الشاعر تبيان قيمة الإنسان وقدرته من خلال طريقة شعبية في التفضيل:**

مش كل من قصّر في طوله يطول

ولا كل من اسمه حسين بهلول

ولا كل من عقل الكلام مجنون

ولا أنت حتى ان سيبتهم .. ح تطول

يا بخته من عاش بهم عاجز نظر يقدر على المقفول

**(14)**

**يمكن وصف شعرية سمير عبد الباقي بأنها تجسد منطق المدينة ذات الأصول الريفية ولديه قصيدتان أساسيتان عن القاهرة وعن المنصورة علاوة على هذه اللهجة المدينة المستشرية في نصوص ديوانه ودواوينه السابقة وقصيدته (ما الحب إلا للحبيب "الأولى !") مكتوبة لأجل المنصورة ويمكننا إضافتها بجدارة إلى قصائد الشعراء الكبار الذين وصفوا أو مدحوا أو رثوا المدن ويمكننا أن نتأمل علاقتها على سبيل المثال بقصيدة (ابن رشيق) عن مدينة القيروان على الرغم من الاختلاف المضمونى بين القصيدتين فإذا كان ابن رشيق يرثى القيروان فسمير عبد الباقي يتغزل في مدينته ويصنع مونتاجاً يمكّنه من الانتقال المتكرر داخل القصيدة وعلى امتدادها بين قضاياه وهمومه الشخصية وبين مدينته التي تظل تتطور رمزياً حتى تصبح مصر كلها أو تصبح مدينة الإنسان الكبرى. أما قصيدته (هموم كل يوم بيوم) فهي مكتوبة عن مدينة القاهرة، ويسلك فيها الشاعر سلوكه الكتابي المعتاد من حيث الجمع الواعي بين معطيات متعددة ليخلق حواراً ثرياً متعدد الدلالة يغنى النص بأبعاد وآفاق موزعه بين ذاته المهمومة (مشاعري مرّه/ وقرفتى مملّحه .. كإنى طفل بيطردوه م القهاوى) وذوات الآخرين الذين هم (أطفال مالحقتش تكبر منذ عشرين سنة/ عيونها تحت الصمت ومفتحه!) ثم الإطار المدينة الذي يحتوى الجميع:**

غرقت نفسي ف زحمة القاهرة ..

كتمت متغصب آهاتي في جرحى

سألتها وأنا نفسي مكسورة

يا هلترى بتنامي وإلا بتصحى

**وتتنوع الزوايا التي يرصدها الشاعر وهو يحاور القاهرة فيستخلص أبعادها القروية في مرة مشيراً على جزء من تكوينها التاريخي والحضاري، ويتابع أخلاق سكانها في مرة أخرى أو علاقات أهلها وحكامها أو يمس الجوانب المادية والاقتصادية وفقر أبنائها ومعاناتهم، يقول في قصيدة (باسم بهاء) :**

القاهرة خارجه في عز الحر

طافحة آهات الحزن على صدرها ..

بتعلّم الذاكرة — يا طول صبرها —

تنسى مرار فقرها وتتذكر الأسماء ..

القاهرة الملهية في الأسواق

وفى الشرا والبيع وخدمة السياح

القاهرة النسايه كل صباح

هم الليالي اللي عدّت فرحة وآلا جراح

القاهرة القاسية عديمة الدم

صابحه بتسأل لهفه ع الجرنان ..

مش قادرة حسره وخجل تنطق : "صباح الخير"

**ولكن الشاعر على الرغم من غنائه للمدينتين فإننا نحس بأنه يتوجه بقضاياه للمصريين كلهم بل ونستشعر بقوة أيضاً أنه يقدم في الوقت نفسه رسالة للبشر جميعاً وللإنسانية كلها (حلب سودان أو يمن أشكال أمم .. حكام مغاربه كرد وشوام .. بحاروة وصعايده) إنه ينتقل إلى الإنسان في كل مكان ويريد أن يجمع (أشلاء الطفل اللبناني .. والجدة الشيبة اليوناني .. أدفيها بأحضاني) فالشاعر يغنى لأزمة الإنسان في كل مكان ويريد أن يوحد قدرات البشر على التقدم:**

لو نكسر سم اليوم ونهشّ البوم

ونغنى بكل لغات العالم ..

(دو ...ري ..مي)

**شاعرنا صاحب رسالة إنسانية شاملة يطرحها في مرة موجهه لمدينة الإنسان في كل مكان ويطرحها بشكل مجازى رمزي لمدينته التي يعيشها بالفعل ويشهد أحداثها كل يوم مرة ثانية.**

**(15)**

**يحمل الشاعر في أعماقه هذه البراءة الإنسانية الدائمة إنه يبحث عمن يدله (قبل الحروف ع الهمزه ..) ويريد دائماً أن يعبر عن معنى أساسي هو أن الشاعر يبحث دائماً عن مضغة البراءة هذه، وان أزمة الشاعر دائماً هو أنه :**

(مقدرش يضحك ضحكة الأطفال)

**ولدى الشاعر أيضاً معنى آخر قد يكون له بعده الفكري وهو الحس التوحيدي أو الوحدوي الذي تمت الإشارة له في مقطع سابق إنه يريد أن يجمّع طاقات البشر في طريق التقدم والإنجاز ويرى في الشعر والفن سبيلاً إلى هذا الهدف النبيل، لذلك فهو يعتز بشاعريته وبزملائه الشعراء وبخاصة هذا الفريق من شعراء العامية الذين خاضوا معه همومه ذاتها منذ بداية الرحلة، وفى قصيدة (قنينة عايمه في نيل الوراق) نحس برغبته في توحيد رحلة شعراء العامية فيغنى معهم في صف واحد، ينتقدهم ويعاتبهم وفى الوقت نفسه يشبك يديه بأيديهم لينطلقوا معاً.**

**لقد حقق الشاعر أسطورة الفنان العصري الكبير الذي يعانق هموم عصره فكراً وحياة وأحلاماً ثم يصيغها في منظومة شعرية تؤمن بالاستمرار، ولكن الاستمرار هنا لا يعنى تكرار الإنجاز بل محاولة دائبة لتطوير النص الشعري وإثرائه رؤية وتكنيكاً، يعبر عن هذا بجملة شعرية فقط بل التجربة كلها تؤكد محاولة الشاعر المصرّة علي العمل اليقظ والتعبير الحساس عما يستجد في الواقع وعما يستجد في الفن والكتابة :**

وآدينى ..

مفنجل عيني وبا تأمل ..

باحاول أعرف وأتعرف

أمجد ريان

القاهرة / ديسمبر 1996

**مصادر**


**إبراهيم أنيس : (1) دلالة الألفاظ – الأنجلو المصرية – القاهرة 1972.**

**اشرف أبو جليل : (2) سمير عبد الباقي لسان الشعب –كتاب الشعر الثاني لسمير عبد الباقي – على نفقته بالتعاون مع دار العالم الثالث – القاهرة 1999.**

**احمد ريان : (3) نحو جماليات جديدة لشعر العامية – مجلة أدب ونقد – العدد (28) – يناير – القاهرة 1975.**

**(4) قصيدة العامية على أين – مجلة القاهرة العدد (163) – يونيو – القاهرة 1996.**

**إبراهيم فتحي : (5) قراءة أولى لأشعار سمير عبد الباقي الأخيرة –كتاب الشعر الأول – على نفقته – القاهرة 1991.**

**أحمد مختار : (6) اللغة العربية بين الموضوع والأداء – مجلة فصول – العدد (3) القاهرة 1984.**

**بيومي قنديل : (7) مداخلة – ندوة شعر العامية – مجلة أدب ونقد – العدد (28) – يناير – القاهرة 1987.**

**(8) حول اللغة المصرية الحديثة بين مسمى الفصحى ومسمى العامية – مجلة القاهرة – العدد (163) – يونيو – القاهرة 1996.**

**بدر نشأت : (9) مدخل إلى العامية المصرية – مجلة القاهرة – العدد (163) – يونيو – القاهرة 1996.**

**جاك بيرك : (10) ملف جاك بيرك – مجلة القاهرة – أغسطس 1993.**

**جميل حتمل : (11) إضافة جديدة في الشعر السياسي –كتاب الشعر الثاني لسمير عبد الباقي – على نفقته بالتعاون مع دار العالم الثالث – القاهرة 1995.**

**عبد الحميد حواس : (12) الحكومة في الثقافة الشعبية – مجلة قضايا فكرية – الكتاب الأول – يوليو – القاهرة 1985.**

سمير عبد الباقي : (13) يوميات مدينة مكسورة الجناح – على نفقته – القاهرة 1997.

(14) مجموعة دواوين الشاعر.

سيد البحراوى : (15) البديل الجمالي للموت – سمير عبد الباقي لسان الشعب – كتاب الشعر الثاني لسمير عبد الباقي – على نفقته بالتعاون مع دار العالم الثالث – القاهرة 1995.

سيد خميس : (16) شعر المواطن الصغير – سمير عبد الباقي لسان الشعب – كتاب الشعر الثاني لسمير عبد الباقي – على نفقته بالتعاون مع دار العالم الثالث – القاهرة 1995.

على إبراهيم : (17) عن شعر العامية – ندوة – مجلة أدب ونقد – العدد (28) – يناير – القاهرة 1978.

سعود شومان : (18) آليات استدعاء التراث الشعبي – سمير عبد الباقي لسان الشعب – كتاب الشعر الثاني لسمير عبد الباقي – على نفقته بالتعاون مع دار العالم الثالث – القاهرة 1995.

نبيل سليمان : (19) الحداثة الغربية ونحن – إغواء السلعة – جريدة أخبار الأدب – العدد (134) – 4 فبراير – القاهرة 1996.

يسرى العزب : (20) هذا ما يريده الوطن – سمير عبد الباقي لسان الشعب – كتاب الشعر الثاني لسمير عبد الباقي – على نفقته بالتعاون مع دار العالم الثالث – القاهرة 1995.

# اشرف أبـو جلـيـل

## سمـيـر عبـد الـبـاقـي لـسـان الـشعب

الشاعر سمير عبد الباقي بعد أن أصدر الكثير من أعماله على نفقته ولم تحتضنه حتى الآن أي مؤسسة حكومية كانت أو أهلية قرر كعادته أن يصدر أعماله الكاملة بنفسه فأصدر كتاب الشعر الأول، وبين أيدينا الآن كتاب الشعر الثاني. أليس ذلك دلالة على شئ قد يكون رفضه لفكرة الاحتواء قد يكون ذلك عدم اقتناع المؤسسات به شاعراً يصلح لها قد يكون الشاعر يحمل أفكاراً غيّرها هو ولم تتغير نظرة الآجري.

وعلى كلّ يظل سمير عبد الباقي من أشد المخلصين للشعر المدافعين عنه، المحترمين له، والمنزهين الشعر عن كل غرض غير غرض الإبداع ذاته. ويظل يكتب ويكتب حتى ليظن المتابع أن كتابته للشعر هي الخلاص له والمفر والمطهر لذاته التي اعتادت البوح ويظل الشعر سلاحه بعد ان سقط سلاحه "التنظيمي" متمثلاً في الانتماء الحزبي وسقط سلاحه "الإداري" بعد جلوسه في مقاعد الثقافة متفرجاً بعد أن كان فاعلاً لنشاط ثقافي تنويري، بقى الشعر سلاحه الوحيد ولا شيء سوى الكتابة لا يعنيه اى شيء لا النقد يرهبه ولا اللافتات تخيفه ولا ضجيج المقاهي يحد من هذا الانتماء للكتابة وأنا في هذه السطور القادمة لا أدعى لنفسي غير حقيقتها وهى أنني أحب الشاعر سمير عبد الباقي سواء اتفقت مع ما يكتب أم اختلفت سواء أعجبتني قصيدة أو أزعجني ديوان فأنا أعده قدوة للمبدعين الذين لا يجلسون لندب حظهم ولطم الخدود على رداءة الواقع دون أدنى خطوة منهم لتغيير هذا الواقع.

من القصيدة الأولى في كتاب الشعر يطل علينا ملمح رومانسي مؤثر يظلل معظم أشعار سمير عبد الباقي وأعنى بها قصيدة "قمر لخاطر العيال" حيث تصبح جزئيات الطبيعة معبرة عما يعتمل في ذات الشاعر من مشاعر ويكشف من خلال هذه الجزئيات مدى مشاركتها له وفى قصيدته هذه يتخذ القمر خدناَ قريباً له فعندما كان الشاعر طفلاً بريئاً خيراَ كان القمر جميلاً يطل على القرية كالشاعر غريباً لا يسال عنه أحد وهذا الفقد الذي يحس به سمير عبد الباقي للجمال والأنسانى في الإنسان ملمح واضح في شعره في هذا الكتاب أو غيره ويكفى أن أشير على قوله في ديوان آخر عبارة (والطفل أصبح حلمه يستبدل قمره الفضة بربع دولار) وإذا حاولنا أن ننظر في الرمز والمرموز له أي في سمير عبد الباقي والقمر سنجد حالة واحدة من الجمال والبهاء لهما ثم حالة من السقوط الواقعي نتيجة للمتغيرات الكثيرة التي حدثت. ثم الحال النهائي لهما وهو الاغتراب.

**فالحال الأول يمثلها قوله:**

لما كنّا في الجرن عيال

كان القمر البدر هلال ممصوص زيينا

عيل أشبه ما يكون بينا

خالي الذهن .. نبيل

متعاص بهباب الفرن لكن طاهر

متدرمغ عله وطين .. وجميل

ملامحنا ملامحه

أفراحنا جراحنا من جرحه

**والحالة ألأولى وإن أكدت هذا التوحد بين الشاعر الطفل وبين القمر فإنها أيضاً أكدت هذا التوحد بين الجمال والقبح في صورة واحدة ولكن الفارق هي رؤية الشاعر لهذه الثنائية فقد كان الجمال والقبح متلازمان من البداية لكن الشاعر ظل يرى في الواقع هذا النبل وهذا الجمال وهذه الطهارة غاضاً الطرف عن خطر ذلك .. ولكنه يدرك الآن أن النار أتت من مستصغر الشرر.**

**وفى الحالة الثانية تتجسد مجموعة من المتغيرات التي طرأت وغيرت من العلاقة بينهما :**

حدتنا الدنيا ف جرايرها أجيال ومصالح

مسافات للحلم مسافات لل .. كبرنا

خطفتنا السكك النداهة والرزق الرحال

اشتردنا ورا اللقمة والكلمة والموال

هجت بينا الأزمنة أحصنه أشكال وألوان

أتبدلت الأقوال .. أتغير طعم النسمة

وردود الأفعال

**وفى المرحلة الثالثة كان طبيعياً أن تتفصد تلك العلاقة الحميمة بيننا وبين القمر (رمز الماضي الجميل المتعب) بعد أن شاب نفوسنا كثير من العوالق الضارة مما جلبته لنا المدينة من زيف هذه المدينة التي يصرخ ضدها في قصيدة سنتناولها فيما بعد وها هو البعد الرومانسي يتجسد مرة أخرى في قصيدة "ليه يا بنفسج" والأصل فيها (ليه يا بنفسج بتبهج وأنت زهر حزين) فنفس التمزق بين الظاهر والباطن بين ما يبدو عليه الواقع الفعلي للشاعر والوطن والإنسان بشكل عام وبين حقيقة شعوره.**

**ان الإحساس بالفقد يلح كفكرة أساسية في كل شعر سمير عبد الباقي هذا الفقد لكل شيء جميل كان وظهور البديل الذي لا يستسيغه الشاعر ففقد الريف ريفيته (الريف تنكر صبح يشبه مدينة ومات) هذا المعنى يلح فى أكثر من قصيدة من قصائده ويفرد له قصيدة بعنوان طبع المدن كأنما يعمق بها تصوره للمدينة ويؤكد ما فعلته المدينة بالريف يقول :**

كل المدن هيه  هيه

نفس الحيطان الكذب والأرصفة

تملا الصور إنسانية

وتكفر النسوان على الأرغفة

...

قلب المدن مالوش في ضعف العواطف

إذ هيه هيه المدن

مخاوفها تولد مخاوف

...

ملعونة كل المدن على كافة الأوتار

لا تحن شوق للشجر ولا تحب البحار

ولا ترق لفرقة الأصحاب ساعات السفر

إن حالة الزيف التي يراها الشاعر مجسدة في المدينة هي حالة يمر بها الشعر والشعراء المصريين والعرب فما من شاعر كبيراً أو صغيراً إلا وصدمته المدينة في معتقداته الوجدانية منذ "مدينة بلا قلب" لأحمد عبد المعطى حجازي وغيره من الشعراء، لكن هل نقول أنه صدام بين حضارتين حضارة ريفية وحضارة مدنية وكل حضارة تتسلح بآلياتها ولأن آليات حضارة الريف زراعية فهي لا تقف مواجهة حضارة المدينة بل لا تملك سوى أن يغرر بها وتستلب ثم لا تملك أخيراً إلا صرخات الاحتجاج العاطفي الانفعالي والدعاء على المدينة بالخراب. ولكن السؤال الآن هل هذه القضية مطروحة في الواقع بشكل ملح خاصة وان معظم القرى بها أجهزة الفيديو والتليفزيون ودخل "الدش" بعضها وامتلأت بالمحال التجارية وأصبح أهلها كما يقال "يلعبون بالبيضة والحجر" فعن أي مدينة وأي ريف يتحدث سمير عبد الباقي.

أغلب ظني أنه يتحدث عن ريفه المفتقد ومدينته التي قتلت إنسانيتها باعتباره ملاذاً من الواقع الحاد وهو في النهاية يعبر عن روح مهزومة طحنها واقع مرير جعلها تتحصن بالخيال الوهمي والغيبي والماضي بشكل عام.

فسمير عبد الباقي لا يرفض المدينة بشكلها الحضاري المتقدم لأنه لم يتحدث عن المجتمع المدني كفكرة يجب أن ندافع عنها جميعاً ولكنه تحدث عن المدينة من جانبها المظلم الذي يجافى مشاعر القرويين.

مثلما يلجأ الشاعر للريف القديم كملاذ روحي له رافضاً عالم المدينة يلجأ بالتالي إلى عالم الطفولة ويتجسد ذلك في أكثر من قصيدة وفى أكثر من مقطع ويقارن بين حاله الآن والبراءة الأولى فيجد ذاته مغتربة.

والملمح الثاني في شعر سمير عبد الباقي بشكل عام هو الانتماء الوطني الواعي المستشرف لآفاق مستقبلية للأمة الراصد لكل جزئية في المتغيرات التي تمر بها الأمة ويمكنني باختصار أن أقول وبشكل يقيني "أن من يريد ان يعرف ماذا حدث في مصر في العشرين سنة الأخيرة على جميع المستويات فعليه أن يقرأ شعر سمير عبد الباقي" وصورة الوطن عنده تبدو بشكل حاد يمسك بآلة تصويره التسجيلية ويرصد بدقة ما حدث للفرد وللمجتمع في الريف وفى المدينة وفى الوطن عامة من متغيرات وهو لا يكتفي بالرصد فقط .. وهو في رأيي كاف لأن تتعاطف مع ما سيقوله الشاعر .. ولكنه يصر على القول لا على التصوير فقط وأعنى بالقول هنا هي إبداء رؤيته الفكرية والوجدانية تجاه ما يحدث بشكل واضح ومحدد وبأكثر من أسلوب لمواجهة الواقع.

واخطر ما يرصده الشاعر سمير عبد الباقي لنا عن مصر الآن هي حالة الزيف واختلاف الأمور على الناس فلم تعد الأمور بوضوح الأمس حيث السلطة سلطة والجماهير جماهير والعدو عدو والصديق صديق وإنما اختلطت الأوراق ولم يعد بمقدور الإنسان العادي أن يميز الصالح من الطالح والوطني من الأستعماري فكل شئ قابل للنقاش. وهذا في رأيي ما يجعل الشاعر لا يكتفي بالتصوير خوفاً منه ألا يحس المتلقي بما يريد أن يقوله من خلال الصورة فقط بل يوضح موقفه دائماً.

فنك سياسة وباب لأكل العيش

الثورة نكته في مجلس التحشيش

غلب اليمين اليسار في عزبة أم الخيش

لبس الحرير هندي وصام بياميش

وربى دقنه الأمريكي يتقن التهويش

الفقر مش نعمه لا ... أزعق لكن بشويش

الجهل مش خير صحيح لكن أطلب الكلمة

اللي دبح أمنا جاهز معاه تفاسير

واللي شرب دمنا اعمي ما شايف غير

انه الأديب الوحيد الفاهم الوطني

مصرف خياله ورسماله سياحة وجيش

**إنني لو حاولت ان أرسم الصورة التي رسمها الشاعر للواقع لنقلت لقارئ ديوانه بالكامل لأنه لا تخلو جملة في شعره من ارتباطه الوثيق بتبصير الناس بالواقع المختلط. فهناك ردة واضحة تسرى في المجتمع فالثورة أصبحت مجالاً للسخرية وضل الشعب لدرجة أن القواعد الصناعية (قواعد العمال) تفوقت فيها أحزاب اليمين أعداء العمال وهى رجعة حقيقية لما يحدث في الواقع. والحق أن الواقع يطل طاغياً في كل أشعار الشاعر سمير عبد الباقي أما كيف عالج الشاعر هذا فقد استخدم أكثر من أسلوب منها استخدامه للتحريض السلبي لنفسه وللناس وذلك بدعوة صريحة لنفسه وللناس بقبول الواقع وهو يهدف من ذلك إلى تحريض ذاته والجماهير وهو أسلوب استخدمه الشعراء العرب منذ بدايات العصر الحديث مروراً بشعر التفعيلة وكانت بداياته مع أبى القاسم الشابى وحافظ إبراهيم مروراً بالجو اهرى وغيره من الشعراء العموديين :**

ان الكلام محرم ياقوم لا تتكلموا

فالخير ألا تفهموا ودعوا التفهم جانياً

**انتهاء بشعراء التفعيلة ومنهم أمل دنقل الذي يظهر التحريض السلبي في قصائد كثيرة أشدها وضوحاً في كلمات سبارتاكوس الأخيرة**

" وإن رأيتم طفلي الذي على ذراعها بلا ذراع

فعلموه الانحناء

علموه الانحناء

**والتحريض السلبي شكل من أشكال التعبير التي يلجأ غليها شاعرنا رافضاً للواقع لا مذعناً له :**

وأنت جاي لي النهار ده وبعد ما أتوافقوا

ودارت البندير واتفقوا

تقول زجل يا (سمير) ع المصطبة والزير

صدق المثل على الحمير

قوم فضها السيرة واركع بالغطا على البير

أسيادنا متعلمين قادرين ومتمكنين

من حلف أي يمين

من عهد مينا لمين

**وميزة التحريض السلبي أنه يدخل النفس ليفجرها من الداخل فالشاعر يقول دائماً للجماهير لاتفعلوا لأنكم غير قادرين على الفعل مما يحمس قلوبهم دون تحريض مباشر من الشاعر والنوع الثاني من التحريض هو التحريض المباشر للثورة على الواقع وهو غرض قديم في الشعر العربي يرتبط بكون الشاعر العربي ظل لساناً للقبيلة ثم لساناً للدولة الإسلامية ثم لساناً للفكرة أياً كانت الفكرة تعبر عن جماعة أو عن فرد أو دولة وهذا النوع من التحريض يبعد كثيراً عن الشعر نفسه في أحيان كثيرة إذ أن الشاعر فيه يتقمص دور وسيلة الإعلام وأحياناً الإعلان وتتلاشى فيه الرسالة الجمالية للفن وراء طغيان الرسالة الإعلامية التي ينبغي الشاعر توصيلها ومن عيوب هذا النوع من التحريض أنه يتعامل بشكل فوقى مع الجماهير فالشاعر هو الموجه والمرشد والقائد والبصير صاحب الحق الأول في تعريف الجماهير عامة والمتلقي للشعر خاصة بالخير والشر والصواب والخطأ ولعل هذا**

**الخطاب الشعري والنثري قد سقط تماماً مع بدايات الشعر الحديث في الخمسينات فلم يعد الشاعر خطيباً يلقى بالأفكار بل أصبح الشاعر يفجر الطاقات الخفية لدى المتلقي دون أن يملى عليه وجهة نظر بطريقة مباشرة وقد عاب كثير من النقاد على قصيدة لا تصالح لأمل دنقل خطابها المباشر رغم رمزيتها الأولية ولعبها على التراث والاتكاء أيضا على جوانب إنسانية تشحن المتلقي بإنفعالاته الخاصة. لذلك فقدت قصيدة التحريض المباشرة قدرتها على التأثير في المتلقي لأكثر من سبب منها سقوط الحقبة السياسية التي كان الشعار هو أهم ما يميزها وهيمنة الدولة على طريقة تفكير الناس وفى ظل تعددية فكرية قائمة يصبح من الطبيعي رفض المتلقي للتحريض المباشر من تيار فكرى قد لا يؤمن هو به كذلك شيوع جو من فقد الحماسة والانكسار والسخرية من أي سلوك أو فرد يزعم لنفسه أنه الثوري أو المخلص أو الناصح أو الوطني صاحب البصيرة وإنما ساد شعور عام بدى الشعب المصري بزيف أي صاحب شعار وأعتقد أن أنظمة الحكم لها دخل كبير في هذا فبعد أن يكون الحاكم حبيب الشعب .. ورب العائلة المصرية وغيرها من هذه الأوصاف غالباً ما يجنى بعد موته من يهدم كل هذا ويحاول طمس وجدان الأمة وبالتالي أصبح الشعب يتشكك في كل من يرفع شعاراَ.**

**ومن منظور فني يتسم الخطاب التحريضي المباشر بالابتعاد عن شعرية الموقف بدءاً من استخدام الخطابة والصراخ وأفعال الأمر الكثيرة والابتعاد عن البوح الهادئ الأقرب للشعر وللنفس المبدعة كذلك تأليه المتلقي وجعله محور اهتمام الشاعر والدخول معه في صفقة تضر بالإبداع يملى فيها المتلقي شروطه التي أولها أن يختفي التشكيل بالصورة العميقة لأنه لن يفهمها وبساطة الفكرة وتبسيطها وذهنية الموقف لأن العمل الإبداعي يدخل في جدل فكرى عقلاني مع المتلقي ولابد من حتمية التأثير فيه فيسقط التشكيل بالصورة تحت طغيان التشكيل بالذهن.**

أصحي لنفسك يا عكروت

الدم بقد البرغوت

اخرج م الوهم المكبوت

اكشف سر المخفي الخافي

**وليس اجترار الماضي بأقل خطورة على طازجة الصورة من هذه المباشرة وشاعرنا سمير عبد الباقي ينهل من الذاكرة معظم قصائده أنه يعيش زماناً ولى ورجالاً ذهبوا وحالاً كان وأصبح حالاً أخرى. سيهرع سمير عبد الباقي إلى القرية القديمة بين المسلمين والمسيحيين والمسلمين والمسلمين. وسينعى رجالاً ماتوا لم يتضمنهم ديوان شعره "أحزان زمان الفراق" الذي كتبه عن شعوره تجاه فقد رجال بعينهم وبأسمائهم. ولكن علينا أن ننبه أن الشعر ليس كله اجترار لماض قديم لأنه في النهاية لن يقدم للمتلقي سوى مادة شجنية تزيد من حالة الردة للماضي التي يمر بها العقل العربي الآن وان اتخذت طابعاً إسلاميا لدى البعض أو فكرياً مادياً**

لدى الآخرين أو الماضي الأجتماعي الأخلاقي لهذه الأمة فهو في النهاية طرح تصور للمستقبل من خلال ذلك الماضي الغيبى الجميل !! وبالتالي تصبح القصيدة تشارك – مع كثير من الخطابات الأخرى في الساحة – في خلق حالة من الاستلاب الماضوى. ناهيك عن تلك الغنائية العالية الدائمة في معظم أشعار سمير عبد الباقي.

أما الملمح قبل الأخير في شعر سمير عبد الباقي هو ذلك التناص مع الموروث وما يدهش القارئ لشعره من كثرة التناص حتى لا تخلو قصيدة من خمس حالات من حالات التناص على الأقل مع الموروث سواء كان الموروث الشعبي من شعر ومواويل وأمثال ومقولات وحكم وموروث ديني إسلامي ومسيحي في الكتب المقدسة أو في السنة النبوية أو التناص مع الشعر العربي القديم أو المقولات التاريخية أو النظريات العلمية والفلسفية والإعلامية. أنه يتناص في شعره مع كل هذا الموروث الشفهي والكتابي لهذه الأمة وكأنه يقول لنا أنني اكتب بلغتكم أيها الناس فلا تندهشوا من هذا الإعجاز الشعري انه من نفس أقوالكم.

وإن جاز لنا أن نحاكى نقاد هذا الزمان المولعين برصد ألأرقام والجداول لأمكن أن ترصد هذه الإحصائية شبه الدقيقة لبيان تناص شعر سمير عبد الباقي مع الموروث وذلك في ديوان واحد وهو ديوان "أحزان الجميز الباط"

| نوع التناص | العدد | نوع التناص | العدد | نوع التناص | العدد |
|---|---|---|---|---|---|
| مقولة شعبية | 53 | مقولة دينية إسلامية | 13 | من تراثنا الفصيح | 13 |
| مثل شعبي | 21 | مقولة دينية مسيحية | 3 | قصص شعبية | 6 |
| طقس شعبي | 6 | طقس ديني | 7 | مع أشياء واقعية | 8 |

ومن الإحصائية السابقة نلحظ أنه يتناص مع كل مفردات التراث الذي يشكل وجدان هذا الشعب بنسب تقارب مفردات هذا التراث لدى الشعب المصري فنرى أن الذاكرة الشعبية وما تحفظه من مقولات وأمثال وطقوس شعبية وقصص شعبية استحوذت على نصيب الأسد من هذا التناص وعددها 86 مرة يليها التناص مع الذاكرة الدينية للشعب المصري مسلمين ومسيحيين 23 مرة وتؤكد هذه الإحصائية أن لغة الشاعر سمير عبد الباقي أكثر من غيره من الشعراء من أبناء جيله تغلغلاً في لغة الجماهير وهى لغة مستخلصة من أفواه الناس ولو أردنا أن نقيم متوسطاً حسابياً لهذا التناص في شعر سمير عبد الباقي كله لضربنا عدد قصائده في الرقم 8 وهو متوسط التناص في قصائد هذا الديوان ولظهر لنا رقماً مهولاً اعتقد أنه لن يصل إليه شاعر عامية آخر ولحاز سمير عبد الباقي لشعب "لسان شعب مصر" حقاً.

والملمح الأخير في شعر سمير عبد الباقي هو ذلك الغنى الموسيقى فقد استخدم كافة أنواع التعبير الموسيقى والأشكال الشعرية فكتب الزجل المقفى العمودي وشعر المقطوعات والرباعيات والشعر التفعيلى الذي يحن للقافية فيصنع بها جرساً من أن

**لآخر والشعر التفعيلى الذي يستغنى عن التقنية تماماً وجاء معظم شعره على بحور صافية بسيطة وان كان استخدام أيضاً بعض البحور المركبة من تفعيلتين وأحياناً تداخلت البحور والتفعيلات لخلق جو مغاير للمقطع عن المقطع السابق له واستخدام الشاعر القدرة التعزيمية لموسيقى الكلمة والحرف مستخدماً ظواهر بلاغية عربية كالسجع والجناس بل واستخدام ظواهر بلاغية قديمة ظهرت إبان فترة التوشية الشعرية بالمنمنمات اللغوية فنراه يقول :**

شق الشراقى الشبق والشوق لحرية

**ويقول أيضاً**

قهرها حزنها أنها انتهى وقتها عمرها منها

**انه يستخدم القدرة التعزيمية للغة وكأنه يصنع رقية يرقى بها نفسه والمحبوبة والوطن والناس كذلك يكسر الملل الموسيقى في القصيدة وبه نوع من الإطراب للمتلقي ودلالة على القدرة على الصناعة والتصنيع. توازى قدرته على الكتابة العفوية الفطرية التي تستلهم تراث الأمة.**

**ولا يفوتني أن أنوه إلى الغياب التام لقصيدة النثر من هذا الديوان ولا أقصد قصيدة النثر من هذا الديوان ولا أقصد قصيدة النثر كمصطلح موسيقى فقط بل كمصطلح فني أشمل واعتقد أن الشاعر أراد أن يكون صادقاً مع نفسه فأتت قصائده تعبر عن جيله سواء على المستوى الفكري أو الفني صورة وبناء وموسيقى.**

**اشرف أبو جليل**

**المعادى 1994/11/26**

د. سيد البحراوى

# البديل الجمالي للموت

من بديهيات النظرية النقدية، أن الفن قادر دائماً – سواء أراد أو لم يرد، وسواء كان ذلك سلبياً أو إيجابياً – على أن يجسد اللحظة التي تعيشها كتابة وتلقياً. وأن قيمة الفن تقاس بمدى تحقق هذا التجسد وعمقه، ليس من الناحية النفسية أو الاجتماعية فقط، بل من الناحية الفنية التي تمثل خصوصية هذا الفن وقيمه الجمالية. وأنه كلما التحمت هذه الجوانب التحاماً عميقاً بحياة البشر وأمسكت بتلابيب أزمتهم، كلما كان العمل الفني جيداً.

غير أنه – بعد هذه البديهية – يختلف المنظرون والنقاد حول المدى الذي ينبغي أن تصل إليه الفنان في إدراكه وتجسيده لأزمة زمنه. هل يكتفي بتقديمها تقديماً محايداً (موضوعياً)، أم يحاول أن يكتشف من داخلها عناصر الخروج منها أيضاً.

في كتاب الشعر الثاني. يمارس سمير عبد الباقي كل هذه الأدوار. يمسك بتلابيب أزمة اللحظة التي نعيشها، من جذورها. يرصدها – أحياناً – رصداً بارداً محايداً، وأحياناً يعلنها وجعاً مؤرقاً مؤلماً، ولكن في كل الأحيان، هو قادر على أن يرى في كل هذه التجسيدات جذور الأزمة / الكارثة، منها يطرح إمكانية الخروج. ليس الخروج على المستوى الفكري، وإنما – وهذا هو الأهم – على المستوى الفني.

وقبل أن نحاول متابعة الأزمة وآفاق تجاوزها، في هذه النصوص، يبدو لي أنه من الضروري الإشارة إلى العوامل التي ساهمت – من وجهة نظري – في تمكين سمير عبد الباقي من هذه القدرة وممارستها. فسمير عبد الباقي شاعر / فنان متعدد المواهب والطاقات دون شك. غير أن هذا وحده لا يكفى (لا في زماننا فقط وإنما في كل زمان أيضاً) لتحقيق ما حققه سمير، فلا بد أن تمتلك الإرادة والطاقة على أن تظل شاعراً وهذا يقتضى منك أن تكون قادراً على حمل شرف الشعر وعبئه، وتحمل ويلاته وألا تخونه،. وفى زمننا تحول بعض الشعراء وخاصة شعراء العامية إلى كتاب أغاني وأجهزة دعائية. وبالطبع لا اعتراض لي عن أن يكتب الشاعر الأغاني، الاعتراض فقط على سبب كتابتها ولمن يكتبها وكيف. في زمن كهذا أصبحت الكلمة قادرة على أن تجلب لصاحبها (إذا استطاع أن يبتذلها) لا الجنيهات فقط ، وإنما الدولارات والدينارات والدراهم.

في هذا الزمن أصر سمير عبد الباقي على أن يبقى شاعراً .. وفى مجموعة الدواوين التي بين أيدينا، وفى غيرها من شعره أيضاً تحديد واضح لهذا الإصرار وتهكم صريح على من باعوا الشعر، وإعلان أوضح عن الاستعداد لتحمل كل الويلات التي يمكن للشاعر الشريف، أن يتحملها.

وسمير عبد الباقي مناضل واع، ولا شك أن الوعي والارتباط بحياة البشر هما مصدر غنى وثراء للطاقة الشعرية، ولكنهما أيضاً مصدر عذاب يتضاعف يومياً في حياتنا الآن. ليس فقط بسبب التحولات التي حدثت وتحدث في العالم وفى البلدان العربية وفى مصر، وإنما بسبب التحولات التي حدثت وتحدث في العالم وفى البلدان العربية وفى مصر، وإنما بسبب التحولات الفاجعة التي يرصدها سمير عبد الباقي والتي تحدث للمناضلين الواعين، مما يسبب مرارة مؤلمة لا يستطيع الشاعر إخفاءها أو تغطيتها، بل

**يكشفها ويفضحها بوضوح. في هذا الزمن يستمر الشاعر مناضلاً وهو يسير على شفا جرف سقط فيه الكثيرون، والجميع مهدد بالسقوط.**

**ورغم أن الشاعر يبدو في بعض النصوص أقرب إلى اليأس والتسليم، إلا أنه تسليم تهكمي ينم عن صلابة في مواصلة الطريق مهما كانت الصعوبات. وهذه الصلابة هي التي تنجى شاعرنا من التدجيل والتدجين اللذين يمارسان في حياتنا السياسية والثقافية أحياناً. باسم النضال.**

**ولأن سمير عبد الباقي شاعر ومناضل أداته الأساسية هي العامية المصرية، فإن سمير يبذل مجهوداً دائباً ومستمراً في أغناء طاقاته الفنية – عبر النضال – بالتواصل الدائم مع المنابع الثرية للعامية المصرية والحياة المصرية التي لا تبدو – في هذه النصوص – منفصلة عن دماء سمير، فهي تجرى فيها منذ طفولته وتمتد عبر السجون والرحلات والمعارك ومع ذلك لابد من العمل الجاد والمقصود على اللغة ومرجعيتها في الحياة، كي يتجدد الشعر ويستمر ويقوى. وهذا واضح جلي في هذه النصوص وربما كان هذا هو مصدر اهتمامي الأساسي بها، لأنه بداية الطريق إلى التجاوز.**

**

**إن الهموم التي يعيشها سمير عبد الباقي، هي تقريباً كل هموم كل مثقف وطني في العالم العربي، وهى هموم تتكاثر في اللحظة الراهنة في الاتساع والعمق. فمن انهيار الاتحاد السوفيتي ومنظومة الدول الاشتراكية، على هيمنة القطب الأمريكي الأوحد على العالم، وخاصة في منطقتنا – عبر حرب الخليج إلى توقيع اتفاقيات (السلام) مع إسرائيل، إلى الأزمة اليمنية، إلى الصراع الاجتماعي (الطبقي) والفتوى في داخل الوطن إلى السلطة الغاشمة سواء كانت السلطة التي تحكم الوطن، أو السلطة التي تحكم المثقفين، ثم أزمة المثقفين أنفسهم ومن بينهم المثقفين (الملتزمين) .. يتجول سمير عبد الباقي.**

**في بعض القصائد نجد أن الشاعر يخلص القصيدة كاملة لمعالجة هم من هذه الهموم، ولكنه فى معظم القصائد يمسك بالعلاقة بين أكثر من هم فيتناول كثيراً منها فى سياق واحد.**

**وفى قصائد بعينها نجد كل هذه الهموم معاً. ومثال ذلك البارز قصيدة أحزان ابن عبد ربه 7 (ص88) التى تبدو أقرب إلى السيرة الذاتية للشاعر. والتي يخلص فيها إلى لب المأساة : مأساة الوطن. ومأساة الشاعر :**

الأرض اللي بدونها التواريخ تختل

دايبة فى أرابيز المحتل ..

وهبت له الحيا .. كشفت له كل المستور

ما عادتشى خايفه الحرب ولا الايدز ولا الفيضان

ولا خايفه مجاعة القمح ولا الزلزال

ولا شايلة هم الموت .. دخلت من وسع أبواب الملكوت

وأنت لوحدك واقف فى الجرن المحروت ..

زى خيال الضل المسخوط ..

مشغول بالحرف الموصول ..

مش عارف إن العلة سببها العقل المعتل .. الخ

**وهذه المأساة تمتد إلى قصائد أخرى كثيرة (راجع 129 ، 134 ، 144، 176 ، 288، وغيرها) . والشاعر فى رصده للأزمة عن وعى واضح وحسن صادق، يدفعانه إلى إدانة واضحة للمسئولين عنها، وفى الحقيقة أن الشاعر لا يعفى أحداً من هذه المسئولية، فليس العدو الخارجي أو السلطة هي المدانة فحسب، بل إن المثقفين اليساريين، ومن بينهم الشاعر نفسه، موضع إدانة فى أكثر من قصيدة. ومن أجمل وأدق الاعترافات قوله فى قصيدة من شاطر الحواديت.**

غنيت لمصر ف قصر ماهولك

حين تهت بين الحلم والأوهام

رضيت يكون فعلك خصيم قولك

رجعت للخلف ونكرت الفرح قدام.

**أما أكثر القصائد صدقاً وصراحة فهي القصيدة الأخيرة فى الكتاب والتي تحمل عنوان "رسالة إلى الحزب" يقول فيها:**

باين إنه مش باين .. غيه .. ولا مين؟

مش ممكن القول مش هاين

شكلك عاجز مقطوع الحيل .. متباين.

مارضعتش من بز النيل — النيل

ما طاوعتش سلطان الشعر ف مملكة الليل ..

بتماين ما شكمتش فى براري الحزن جموح الخيل

ولا رعشت قلبك عند غروب الشمس المواويل

القمح عويل .. والتوت خاين

وكريم الدولة مش التبين

الملح قليل والعيش ما خمرش

قلبك مسروق منك ع العرش.

الدايره اكتملت سبحان الدايم

مش عايم فوق وش آلميه غير الريم والقش

ولذلك حا غطس في النيل .. إياك .. عنى ما تدورش

لغاية ما أطهر قلبي من ذنبك وأتعزى بذنبي ..

**ورغم أن الشاعر فى كثير من القصائد يبدو مهموماً وحزيناً إلى حد اليأس لينتج نصوصاً من أجمل نصوصه التى يخلص فيها لنفسه وعاطفته وغنائيته التى كثيراً ما غابت عن شعره السابق (راجع على سبيل المثال قصيدة فى رثاء فرج فوده ص78.. وقصيدة بوابة لعصر الجنازات ص96 وقصيدة آخر ولاد الشبوكشى ص110 وغيرها)**

**فإن الشاعر لا يترك نفسه نهباً لهذا اليأس، ويستطيع أن يلتقط خيط الأمل من بين هذا الركام وخيط الأمل هذا هو دائماً فى الشعب.**

**يقول فى آخر قصيدة "رسالة إلى الحزب" بعد المقطع الذي سبق ذكره والذي يتضح فيه أن المشكلة الأساسية التى يعانى منها الحزب هي عدم الإحساس بنبض الشعب العميق الدفين والذي لا يدركه إلا الشعراء (والفنانين) :**

استني الفيضان المتكتف

فى طرحة ايزيس المنهانه وجرانيت الجهل الشعبي

يمكن أشوفك تاني .. طالع ويا طمي ومتطهر بعرق

ايزوريس من خطوة ست والأعيب المنتفعين .. الخ

**وهو نفس الأمر الذي نجده فى نهاية قصيدة "آخر ولاد الشبوكشى" وغيرها من القصائد غير أن الشعب فى هذه القصائد ليس هو الشعار الأجوف الذي اعتدنا أن نسمعه ونردده دون دلالة واضحة أو مرجعية محددة، وإنما هو مجمل تاريخ الوطن منذ عهد الفراعنة حتى الآن، كما هو واضح فى قصيدة "من صلاة فى كنيسة كليوبطرة" بدءاً من عنوانها الدال. ورغم أن الشعب يبدو كثيراً فى القصائد أقرب إلى الفلاحين والريف والقرية ويبتعد عن المدينة إلى حد هجائها (راجع ص19 مثلاً) إلا أن القرية والريف عند سمير هي قرية الفقراء والمحرومين، وتكمن أهميتهم دائماً فى أنهم حاملوا تراث الوطن ومنتجوه الأساسيون، وأن لهم الحق فى حياته حياة إنسانية.**

**وعلى هذا النحو ينجح سمير عبد الباقي فى أن يتجاوز موقف الرصد المحايد أو السنتمنتالى لأزمة الإنسان العربي المعاصر، إلى امتلاك خيط الأمل والحل، فهو يدرك أن الجذر العميق هو فى انفصال المثقف (والحزب) عن شعبه بالمعنى العميق للانفصال، وليس فقط فى الممارسات، وهذا الجذر هو ذاته الجزر القادر على تجاوز المشكلة، إذا تحقق نفيه.**

**والشاعر لا يطرح هذا الحل على نحو شعاري كما سبق أن رأينا فى القصائد، بل إنه يطرحه عبر صياغة شعرية جميلة، تقدم هي ذاتها كتحقق لهذا الحل، أي أنه هو ذاته يتحول إلى سلاح يجسد فى ملامحه أبناء هذا الوطن ويحمل ليس فقط همومهم العمومية، وإنما قيمهم الإنسانية والجمالية، والتي أحب أن أسميها عادة "محتوى شكل" هم. ولا شك أن وسيلة الشاعر، أي العامية المصرية تساعده على تحقيق هذا التواصل، غير أن ثمة خصوصية فى عامية سمير عبد الباقي، هي أنها تحاول أن تتخلص من التوجه الفصيح (الفكري) الذي يحكم عدداً كبيراً من شعرائها، ويتم هذا عبر التعمق فى تراث هذه العامية أفقيا ورأسياً، بمعنى أن الشاعر هنا يحاول أن يعمق وعيه، بتاريخ العامية وطبقاتها المتراكمة عبر التاريخ، مثلما يحاول أن يتعمق فى التعرف على الاستعمال الحياتي اليومي لهذه اللغة وخاصة فى القرى والأحياء الشعبية.**

**ولا شك أن الملمح العميق والأكثر خفاءً (ولكن أكثر تأثيراً) الذي يربط شعر سمير عبد الباقي بالعامية المصرية هو موسيقى شعره التى تتصل اتصالاً حميماً بعناصر الإيقاع فى العامية المصرية.**

**فرغم أن سمير عبد الباقي يعتمد شكل "الشعر الحر" شكلاً أساسيا فى معظم أعماله، بحيث يتعامل مع الوزن والقافية بحرية كبيرة فى عدد التفعيلات فى كل سطر، ويترك القافية أو يأتي بها حسب الدلالة، فإن أوزان سمير فى الغالب هي أوزان قريبة من**

**التركيب المعتاد للغة الحياة، وأقصد هنا الاعتماد الغالب على تفعيلة (مستفعلن) وما يقترب منها، والتي تقوم أساساً لمعظم الأوزان الزجلية. أما القافية فهي أكثر وضوحاً، بل إن كثيراً من قصائد هذا الكتاب الثاني يمتثل تماماً للأشكال الزجلية من القافية، بكل تراثها الزاخر بالكثافة والحكمة، ويضيف إليها سمير (كما فى معظم قصائد الديوان) السخرية والتهكم.**

**ومن الملمح الأخير ندرك القانون الذي يتعامل به سمير عبد الباقي مع العامية ومكوناتها وتراثها، فهو يتصل بها اتصالاً حميماً، ولكنه لا يستسلم لها، بقدر ما يحاول تفجير هذه الإمكانيات وتوظيفها فى نسقه الخاص، التحريضي، عبر تقنية أساسية دائمة هي التهكم والسخرية، فحتى فى الأشكال الزجلية (التى قد تتحكم فيها القافية أحياناً، تحكماً ضاراً بالمعنى، أو تشتت حركة نمو القصيدة دلالياً)، نجد أن الشاعر يستفيد من الشكل الزجلي لتتواصل به مع الناس، مضيفاً إليه تهكميته التى تؤدى تواصلاً تحريضياً، وليس مجرد الاستئناس كما كان الحال عند الزجالين التقليديين.**

**وهذا القانون هو ذات القانون الذي يحكم علاقة سمير بالرموز والمجازات والأمثال الشعبية ومختلف مكونات تراث العامية المصرية. انظر مثلاً هذا النموذج من قصيدة "زيحوا الهديم القديم" التى ينتقد فيها المثقفين المبررين دائماً وأبداً، فيحول هذا إلى مجموعة من الرموز التى تعتمد على أمثال شعبية محورة ومضاف إليها لتؤدى وظيفتها الفنية والدلالية:**

شجر الغرام عطشان نفض ورقه

باش ابن آدم فى شريف عرقه

واللي حلف ع النعمة وسرقها

فى ساعة الجد خطى الحد وحرقها

جاي تاني يحلف زور بأنه سليم

العامشة تحلى مادمت تعشقها

وصعب تعلا فى خانة الملاليم

قلبى عليكم يا صبايا أولاد

سوق الحلاوة جبر .. طب مين يصدقها

القطة هبله وعاشقة خناقها

والنخلة فاتها موسم التقليم

**ففي هذا المقطع القصير خمسة أمثال عامية لا تبقى كما هي حياتها اليومية وإنما تحور من حيث تكوينها ومن حيث وظيفتها.**

**فمثلاً المثل "القط ما يحبش إلا خناقه" يتحول إلى :**

**القطه هبله وعاشقه خناقها ، فيضاف إليها نوع من التفسير وهو إنها تفعل ذلك بسبب الهبل، فيصبح المثل هنا مرفوضاً وليس أمراً مسلماً به كما هو الحال فى صيغته الأصلية، وهذه الوظيفة الجديدة مناسبة تماماً للهدف الذي قصده الشاعر فى هذه القصيدة وهو التهكم على المبررين ماسحي الجوخ، رغم إنهم – لهبلهم – لا يعرفون أنهم يخنقون أنفسهم بيد السلطة التى يبررون وجودها.**

**ونفس هذا المنطق فى التعامل نجده فى صورة من قصيدة "نعم وبالتلاتة .. أي نعم" يقول :**

لإنى يا أهل الخير على طول المدى ..

جاي من بلاد كان فيها فلاحين زمان ..

قالوا لي أمشى ميت سنه ولا تخطى فى الحرام قنا.

**هنا استخدام خاص للمثل الشعبي "أمشى سنة ولا تخطى قنا" الذي يبدو تفسيره الشائع هو الحيطة والحذر المبالغ فيهما ليصلا إلى حد عدم المغامرة والجبن. ولكن الشاعر هنا يغير تركيب المثل فيبالغ فى السنة لتصبح (مائة) ولكنه يضيف (فى الحرام) لتصبح هذه المبالغة واى مبالغة فى عدد السنين مقبولة وحتمية، حيث أنك لن تقترب من القنا الحرام حتى لو بعد مئات السنين وبالطبع أبان مفهوم الحرام هنا كقيمة شعبية هو أوسع وأكثر تعقيداً من مجرد "الحدود" الدينية.**

**هذه الإضافة على هذا المثل تحول السلبي فى التراث الشعبي على إيجابي ومقبول أولاً، ثم تجعل وظيفة المثل مناسبة للسياق الذي يوضع فيه، وهو القصيدة التى يتهكم فيها الشاعر على السلبية التى نعيشها والمفروضة عليه هو الآخر، والتي تتمثل فى قول نعم دائماً.**

**بهذا المنطق فى التعامل مع العامية وتراثها يقدم سمير عبد الباقي البديل لا فكرياً فقط وإنما فنياً أساساً فهو يتواصل كما يدعو مع الشعب عبر لغته، ولكنه لا يتواصل مستسلماً ولا خاضعاً، وإنما هو تواصل الواعي والعارف والفنان الذي يتصارع مع هذا الشعب ومع لغته وقيمه الجمالية فينفى ما فيها من تدن وسلب، لا بتجاهله وغض البصر عنه، والاكتفاء بالتعامل مع**

الإيجابي فيه، كما يفعل معظم المثقفين الوطنيين، وإنما بالهجوم على هذا السلبي ذاته والصراع معه لتفجير طاقاته الإيجابية من داخله، وليس فرضاً عليه من الخارج.

واعتقد ان هذا البديل – الذي حرصت على إبرازه والتركيز عليه حتى وإن جار ذلك على المعالجة الفنية للشعر – هو البديل الحقيقي لنا جميعاً. فى الفن وفى السياسة. إذا أردنا أن نستمر فى الحياة حقاً.

أحمد زرزور

# قراءة – شهادة

# نص سمير عبد الباقي كعادته لا يرفع حجراً واحداً فقط !

"أن تخلق جواً سعيداً بجوار المدفأة للأطفال والزوجة هذا هو العطف الحقيقي الرفيع فى حياة الإنسان" (بيرنز)

**(1)**

هذا بالضبط، هو ما نذر سمير عبد الباقي شعره له، فمنذ طفولة تفتحي على العالم من بوابة المعرفة الأولى، عبر أشعاره الممتعة للأطفال والتي كانت تربّت على قلبى الريفي المكسور كل صباح فى مجلة سمير، وتمنحني الكثير من الأمل والفرح الغائبين، منذ تلك الومضات الإبداعية المخزونة فى الذاكرة، وأنا أتطلع حقاً على الحياة، متوثباً، واثقاً، عنيداً، ولم لا ، وقد آزرتني قصائد سمير عبد الباقي المدهشة ببساطتها، ومرحها، وعمقها، وطفولتها الذكية، المتفتحة علي الواقع، الموصولة بالأسطورة، المحلقة فى أفق المخيلة، تلك القصائد المسئولة عن تحريك الشعر الكامن لدىّ، أنا ذلك الطفل القروي الخجول، الذي لا متعة له إلاّ هروبه الجميل إلى فرح شعر سمير عبد الباقي، الذي استمر علامةً هامةً بل وأساسية فى كياني الروحي، هذا الشعر الأخوي، الصديق ، المعلم ، الذي أنتشلنى من جهامة المعيش الاجتماعي المحبط، ليضعني علىّ رأس "طريق الرجاء الصالح"، وياله من طريق!

ذلك الشعر – العطف، هو ما يميز سمير عبد الباقي، مخلصاً لرسالته، مؤمناً بضرورة الإنسان – الإنسان، صانعاً من الكلمة خبزاً وبيتاً ووطناً، حداثة هي خطاب الناس لا النخبة، عقيدته هي المقاومة، الشرسة حينا، والمتهكمة حيناً آخر، وهو يواصل سلالة الشعراء العضويين الذين صدروا عن مجالهم الحيوي (الشعب)، فتشكلت لغتهم من أديم التجربة الحية، لا التصور، وهكذا نجد أنفسنا أمام نماذج حية، واعية، صادقة، تلفحك بعذابها اليومي الذي يؤرخ فى ذات اللحظة للعذاب الجماعي، هكذا كان بيرم التونسي، والنديم، فؤاد حداد ، صلاح جاهين، أولئك العضويون الذين جاء شعرهم "نقداً للحياة" مشروطاً بقانوني الشعري والجمال الشعري" هذا الشعر الذي "يجد فيه روح جنسنا البشرى السلوان والسند على مرّ الدهر، ولكن قوة السلوان والسند سوف تتناسب مع مدى قدرة الشعر على نقد الحياة، هذه القدرة التى تتناسب بدورها مع مدى امتياز الشعر الذي ينقل إلينا هذا النقد، ومع مدى سلامته وصدقه" (1)

"الشعر للمبتلين العاشقين – الوطن

والعاشقين للشعر أهل وسكن

وبحق من صدفه .. فن وهم – جمّعنا

الأمر يا آهل الهوى والفن ما بيخلاش

لو حط ع الدنيا ليل وزمان مالوش معنى

جعل قلوب البشر مكوية باللعنة

بين زحمة السوق، وهمه اللقمة والشغال

ماهيش معنا

خوفها يفزّعنا أحزانها تجمعنا

فإحنا معاها وبها يحلوّ إبداعنا ..

لأننا المضروبين بالشعر اجمعنا

مهما الغباء .. الجهالة .. غل لوعّنا

عن دهشة الفرحة بالإنسان

إذ الأوطان تسمعنا .. ما نستغناش ! (2)

**هذا الشعر العضوّ الذي يستلهم الحراك الجماهيري، خاصة ذلك الحراك الممتد فى نسخ الذاكرة البعيدة، حيث شكلّت مفرداتها (أي مفردات ذاكرته) بناءه الروحي، وذلك المتن الأساسي الذي تهيأ – بعد ذلك – لاقتراح رؤياه الشاملة ايدولوجيا واجتماعياً، ومن ثم، تتحد الرؤيا باللغة، لا انفصام، ولا ازدواجية، اللغة هنا ليست حاملة أفكار كما فى القصائد القافزة على الواقع عند "شعراء التصوّر النخبوى"، هنا نص تجربة، تجادلت فيه الرؤيا باللغة، فصعدا معاً، لينبض النص بالحيوات الضاجّة الصاخبة العفية، فنمسك بالرائحة ونشم الملمس، ونبصر الروح، هكذا هي قصيدة سمير عبد الباقي أغنية الحقول والتراب وسطوح الصيف، المقصودة لسطوع أشمل، المستهدفة لمجد، خليق به أن يحتل موقعه لمواجهة "احتلالات .. احتلالات" المسخ**

**والضياع والوحشة، أغنية تعيدنا إلى الينابيع حيث تتألق البديهيات الأولى، المنسية، هنا يستمد النصر "جوهريته"، بعيداً عن المجانية، ألم نقل إنه نص الغبار ؟!..**

**لغة فريدة، رغم عاديتها، بل إن عاديّتها .. شعبويتها، هي سر هذه الفرادة والتمّيز، لغة لا يمكن لشاعر غير عضوي اكتشاف "مخابئها الواضحة" ولعل هذا هو أهم ما يتميز به سمير عبد الباقي بين شعراء جيله، إذ قلمّا نجد هذا الزخم من المفردات شديدة المصرية، بلغة الفصاحة اليومية، لغة يقتنصها الشاعر بمهارة من حقل الكلام الحميم، فهو واحد من ألسنته، إنه ليس شاعراً لجماعة، بل هو – فى التقييم الصدق – شاعر "من" الجماعة، عرك وخبر صراعها، عانق والتمس أحلامها، طفولته .. طفولتها، صعوده – صعودها ، وهكذا ...**

"لما كنّا فى الجرن عيال

كان ضي نجوم السما فوق سطح بيوتنا

بيرسمنا عفاريت حواديت وخيال

تنادينا بأسامينا تخايلنا، تلعب بينا "(3)

**وهو يؤنسن الطبيعة، فلا يقترح خطاباً ثقافياً فلسفياً، فهو لا يفعل أكثر مما يفعله الناس الذين أنصتنا على حواراتهم العفوية مع العناصر من حولهم، اذكر الآن أن امى كانت تستمتع بعتابها الحاد لمطر الشتاء العنيف، ولرياح الخماسين، وكأنها تحادث إحدى جاراتها، ففي القرية وحدة كونية عمادها الإنسان والغيب وما بينهما، لهذا من الطبيعي أن يلتقط الشاعر شفرة هذا الخطاب – البداهة، فى حيلة بارعة لينقلنا – بسلاسة وتلقائية – على خطاب الراهن المشوه، الفاجع، ليوقظ فينا الاستنفار والوجع، فنمارس حراستنا للفرح – الحلم ، ويوقظ حضورنا النقدي للمفردات جميعها، أمس واليوم وغداً..**

"كان القمر البدر – هلال ممصوص زيينا

عيل أشبه ما يكون بينا

مقروض ونحيل / متعاص بهباب الفرن، لكن طاهر

متدرمغ علة وطين .. وجميل / يشب معانا ويكبر /

يوّرق بشنين /

ع الجميزة يعسّل تين / يحمرّ ف بلح النخل ينسل فى التيل .."

**وعندما تعرض أحد سياقات خطاب الوحدة الكونية للاغتيال، اغتيلت كل المفردات طفولة ومجتمعاً ووطناً:**

**خطفتنا السك النداهة الرزق الرّحال / هجت بينا الأزمنة أحصنة أشكال ألوان/ أتبدلت الأقوال/ انعكست بينا الأحوال والقسمة/ لكنه القمر الرّحال الوحداني ما زال على حال/ على روس النخل العالي مشنوق/ على السطح بيوت الخرسانة مخنوق/ مسروق مننا زى الأيام / ناسي حواديت الأطفال / متكرمش فوق البواب بهتان بردان خايف/ فى هوّ الجرن / زى "البوّ" اللي متقرفص فى ركن مضلم/ تتسول به لبن البقرة العاقر/ ورغيف الصدقة الفاتر .. (5)**

**كتابة تجدل الماضي بالحاضر، تمزج السطورى بالوقائعى، لتعيد للشعر اعتباره كحدس وتأمل، كمرشد للروح ومثير لمراجعة الذات، كمعرفة وحلم فى آن، أنه نص مفتوح العينين، يستنطق التفاصيل، تماماً كأي شعر ينتمي للحظته التاريخية والاجتماعية، شعر له قرابة بالملحمي – الكائى، به من الجدية والرصانة والقوة، نغمته ابعد من مجرد التهكم، نظرته إلى الحياة والعالم تتميز بالانطلاق والفطنة والرقة، مشحون ومتدفق بالشجن الكامن فى الأشياء، الشجن الكامن فى الطبيعة الإنسانية وفى غير الطبيعة الإنسانية كذلك، نص طويل الذاكرة، يرصد، ويستكنه، مادته وفيرة من حوله، يرى الشعر فى كل شئ . بل يرى الكتابة بكل مستوياتها : أغنية، زجلاً ، نصاً ملحمياً، ولذا فهو يعيد الاعتبار – بشجاعة – للخطاب الزجلي، الذي ينظر إليه الكثيرون من مبدعي العامية كنص كلاسيكي بدائي ينتمي لمرحلة أقل وعياً وثقافة وتطوراً فكرياً وجمالياً .. ها هو يشحنه – الزجل – برؤى معرفية وسياسية، تذكرنا بالمعطاءات الأولى لبيرم والنديم، هكذا هو سمير عبد الباقي، ممسكاً بنصه (على اختلاف وتنوع مستوياته)، لينبه ويحذر ويسخر، فكأنه ينتزع لنفسه حداثة خاصة، تحقق له ولنا – الرحابة والحرية، وفيا لجماليات الزجل، مؤمناً بديمومة دوره فى أزمنة كتابته .. لا حداثة الانكفاء على الجسد مختزلاً فى "جنسويته"، الكتابة الداخلية – الداخلية وقد تبرأت من محيطها الإنساني والاجتماعي، لتصنع عالماً متخيلاً موازياً ..**

**الزجل هنا، يعود ثانية، ليمار ضرورته الاجتماعية، ففي مرحلة التراجع والانتكاس، من يصحو خطاب الزجل الشعبي كناقوس "ونوبة صحيان"، يستمد شرعيّته من الناس العاديين الذين وقعوا بين كفى الرحى : أحلامهم البسيطة وعزلة النخبة حكاماً ومثقفين، لينتهي بنا المطاف على هزيمة كاملة، حيث تسود الرطانة والتفسخ، مما يدفع إلى المزيد من الغربة والموت المدني، خطاب الزجل المعتاد يمتلك قوة البداهة فى زمن ضياعها، وقد جمع بين تقاليده الفنية الصارمة وتطويعها لاستيعاب التراجيديا الإنسانية الجديدة، ليثبت شاعرنا هنا صلاحية هذه الكتابة الشعبية بل وشرعيتها المقترنة شرطاً بدراما السقوط الاجتماعي :**

"كلام ساكت عديم المفهومية / بينضح من لسان عدم الهوية/ بحار الصبر أفنتها المحابر وسن أقلامه مغروزة فى عينيه / قريت حتى أتلهيت والجهل نعمه / ياريتنى ما كان عرفت الأبجدية / دي ناس مروشه وإلا مخ فاضي / مؤامرة واللا متقاولين عليّا .." (6)

أو يفضح مظاهر الزيف والرجال الجوف الذين يصنعون تراجيديا الخل وهو بالزجل خطاب الضمير الجمعي، يواجه ويتهكم تماماً كما فعل بيرم والنديم :

"ياولاد يا أبو الوسط السايب / يا لبن رايب ، يحق لك فى زمان خايب / تقلبها بوتيك / ثقافة إيه مالهاش لازمه / إحنا فى أزمة، بقي الكتاب واللا الجزمة/ لو عزت أهديك/ ابرم مع البلية الماشية/ خش الحاشية/ دغميشه سياحة وغاشية/ رقص ومزازيك .. " (7)

والزجل يتابع راصداً محطات التلّون والنفاق والانتهازية عند من يعنيهم الشاعر، مسلحاً بأجرومية الناس، انه حارس الحقيقة الأمين، الحقيقة كما يراها، فى صياغة تنهل من المعين الشعبي اليومي، مباعداً قدر الإمكان بينها وبين آليات التشكيل اللغوي الفصيح، إنه شاعر ربابة جديد، حكاياته تنتمي، هذه المرة إلى وقائعية حية :

صحصح ضمير القبلة يا شاعر المساكين / يا وتر ربابة الزمل فى الأزمة والمزنق / وهبتها العمر ما سألتش حقوقك فيه/ طمعت ديابها وخربها غرابها واترستق/ أصبح رقيق الغنا بيعكر الرايقين/ واللي رماه الهوى فى نفسه متخندق/ فاجلدها بالحق بتجامل بصمتك مين / ياما طال سكاتنا وصوت العاشقين أصدق / إحنا اللي ما خونا هونّا ياما ع الخاينين / واللي رضي بذلته باع علته إتشبرق! (8)

يؤمن سمير عبد الباقي أن الكتابة دفاع عن النفس فى شكل هجوم، هجوم ضد اللامعنى، (9) لكنه لا ينطفى داخله، ليرتد اشد عنفاً إلى الخارج، فقد وحّد داخله بخارجه تماماً، لتغيب التفاصيل الشخصية التى تشكل معالم خريطته الروحية، مما وسم النص بالمطلاقية والعمومية، لكن رصيده اللغوي الفني المستدعى من "غلال" التعابير الشعبية القحّه، أنقذ هذه الكتابة من خطابها التجريدي وحفظ للشاعر حضوره الخاص، فهو يثبت لنا أنه قادر على شحن الكلام اليومي (بفجاجته وخشونته) والارتفاع به على الفق الشعرية، وبل لعل هذه القدرة هي أهم ما يميّز شاعرنا.

وقد آثر أن تلتحق كتابته مباشرة بالشفاهى معرفياً وجمالياً فى آن، فى حين اتجه الآخرون على الالتحاق بسياقات الثقافي الرسمي، فلم يستطيعوا الإفلات من قبضة حضورها المعرفي والجمالي، مما أنتج نصاً منشطراً على ذاته .. وهو ما يثير سؤال الحداثة عند شعراء العامية، وأظن أن حداثة العامية تعرض الآن لمأزق نابع عن غياب حركة نقدية لشعر العامية خاصة، مما جعل

قطاعاً كبيراً من شعرائها يلتحقون قسراً بمفهوم حداثة شعر الفصحى، ناسين خصوصية خطاب شعر العامية الموصول بخطاب الناس، برصيده الثقافي التهميشى، التحتي، لنجد أنفسنا أما نص ملفق، منفصم، لا هو حافظ على أجروميته ولا هو انتقل كلية إلى السياق الآخر .. ألأجرومية الأخرى .. قليلون هم الذين عرفوا شفرة الحداثة الخاصة بإبداعهم العامي، فطوروا نصهم داخل سياق خطابه المعرفي والجمالي، جاهين وحداد والأبنودى وحجاب يأتي سمير عبد الباقي ليواصل اجتهاده وتنوعه فى آن، صحيح أن التنوع سياقاته الكتابية ما بين الشعر والزجل والكتابة للأطفال والمسرح والكتابة بالعامية والفصحى، وطاقته الإبداعية الغنية والغزيرة كل هذا قد يستهلك الكثير من مساحات السعي للعكوف على طرح مقترحه الجمالي بجهد أدّق، منفلتاً من وطأة مثيرات الكتابة التى لا تنتهي، لكنه لم يتورط – حتى الآن – فى استعارة حداثة الفصحى، وأحتفظ لنصّه بنقائه النوعي، وهو يفاجئنا بين حين وآخر بممارسة جمالية، صحيح أنها عفوية، وليست نتاج ذهاب إلى الحداثة، لكن أليست العفوية الفنية شرط البراعة الواعية ؟!

"وما زلت بخير .. لله شوقه يا حج/ فى عالم مقسوم بيقسم .. العالم وج/ فى نار الخدعة البردانه .. رنخ وأعرج/ ملح فى جروحي وإلا أتألم .. أو حتى احتج" (**9**)

هكذا، يتلاعب الشاعر بالقوافي وكأنها مارد خرج من القمقم، مطيع لسيّده، فى صياغات جمعت بين الجدة والطرافة، هنا "محارفة" أيضاً شبيهة بمحارفات شعراء الفصحى، بل ان المحارفة هنا جاءت متسقة مع انسجام التشكيل الجمالي الدلالي فى آن، وليست لعبة استعراضية مقحمة (مقسوم بيقسم – ونّخ وأعرج – ملح فى جروحي، او حتى احتجّ !)

إن شعر العامية وهو يستند على شرعية المرتكز – البداهة – الينابيع الأولى، يمتلك الكثير من إمكانيات التحديث الخاصة به، وشاعر العامة يستطيع ان يطرح لنا، ليس فقط رؤيا حداثته النوعية، ولكن أيضاً رؤيا حداثتنا الإبداعية المصرية المتميزة، فهو ابن شرعي وحميم للغة وحراك الناس، هو البدائي والمتحضر.

"ولعلّ سمير عبد الباقي بزخم ذاكرته بالصور والمشاهد والأحداث قد استطاع أن يجعلنا نمسك بخيوط أولى، مع رفاقه، بضربة شعرية تخلخل كل ما هو مقنن ومفروغ منه سلفاً، واكبر من اللغة وابعد، من ثم، فهو – وهم مطالبون بالتمرد عليها، حتى لا تقص من أجنحة تحليقهم، والأمر مرهون بالحذق من الإفلات والانقضاض، فى الزوغان والارتداد ثانية، المهارة التكنيكية كفيلة بالسيطرة، المعرفة ذاتها وسيلة للسيطرة، والسيطرة هي طريق القوة التى ستغيّر، ابتكار لغة فوق اللغة، تتسع لرؤيا فوق الرؤية .. هذا هو الهدف" (**10**)

**هوامش :**

(1) ماتيو أرنولد : دراسة الشعر (مقالات فى النقد) ترجمة على جمال الين عزت – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة 1966.

(2) سمير عبد الباقي – الموعودين.

(3) سمير عبد الباقي – قمر لخاطر العيال.

(4) سمير عبد الباقي – قمر لخاطر العيال.

(5) سمير عبد الباقي – قمر لخاطر العيال.

(6 ) سمير عبد الباقي – التبن عايم .. التبر يغرق.

(7) سمير عبد الباقي – ثقافة الوسط السايب.

(8) سمير عبد الباقي – الشغل فى الأزرق.

(9) سمير عبد الباقي –كالطير يترقص.

(10) جمال جمعه – بياني وحدي – مجلة كلمات – البحرين – العدد 19/18 – 1994.

**د. يسرى العزب**

# هذا ما يريده الوطن / الشعر / الحياة
# عن سمير عبد الباقي أبن ميت (ألف) سلسيل

**(1)**

**ماكانش ممكن أكون غير اللي أنا كنته / وماكانش ممكن أخون عيشك / وأنا دقته / لكنى صعب شويه ع التطويع / وع التعديل / ماليش حماية سوى نفسي / وفن جميل / وقدرة ع الصبر / وقناعة، بحظ قليل / فلا تكرهيني على قول اللي أنا كرهته / يشهد عليّ النيل / لو تجبريني ح أموت / وأنا دمى فى رقبته / وان تنكريني / ح يكفيني اللي أنا قلته / وإذا تذكريني راح أنكر / إني عشت قتيل.**

**قد يعجب القارئ حين يراني أقدم لهذه الكلمات بنفس المدخل الذي قدم به سمير عبد الباقي لديوانه، لكنه سيوافقني حين أقرر أنني لم أجد تقديماً لما أريد قوله عن شاعري المحبوب لي – منذ ما يزيد عن أربعة آلاف سنة – خيراً من حديثه هو نفسه فى هذه القصيدة الأم، النص المدخل، على عالمه كله، الشعري والإنساني، كما أقر وأعترف – أنا الموقع أعلاه وأدناه – أنني بهذا المدخل الذي لم يرض القلم بسواه الجأ على نوع من ذلك الذي يسميه النقاد الجدد من محدثي النعمة بالتناص، فاستولى على نص لسمير عبد الباقي لأضمنه، بل لأصدر به كلمتي المنسوبة لي عن شعره الذي هو .. والذي يمكن مع شئ من التأمل المحدود الآن أن يكون هو أنا .. اى إن هذا الشعر الجميل يمكن منذ اليوم أن يكون لي .. جزءاً من صيرورتي وبعضاً مما أعيش، وفلذة مما أقدم من رؤى جديدة للزمن الآتي .. فالشاعر الحي هو الذي يحمل فى لغته كل ما جادت به السلالة من أصيل ونبيل وجميل .. وها هو سمير عبد الباقي يقدم فى قصائده نسيجاً جديداً وفريداً ومتميزاً من كل ما جادت به السلالة الشاعرة من فلاحى مصر الشرفاء منذ مسجل (كتاب الموتى) وسور (اخناتون) الموحدة، وشكاوى فلاح إهناسيا الفصيح، ومواويل العشاق على شواطئ النهر العظيم وفروعه كلها الخضراء والحمراء والبيضاء، وعبد لله النديم، وبيرم التونسي وقبلها ابن إقليمه (الدقهلية) الذي هو إقليمي أيضاً سيدنا ومولانا وإمامنا العارف بالوطن صاحب الفضيلة الشيخ يوسف الشربسنى مؤلف أعظم وثيقة أدبية عن أحلك عصور التاريخ المصري (المملوكي) وهو كتاب (هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف) وبعدهم فؤاد حداد ابن مصر البكر القادم من سلالة عربية بناءة، ليقوى بنياته بخصوبة الغرين النيلي الحي .. من هذه السلالة جئت بعد سمير عبد الباقي ومعه أنصبح دفعاً قوياً فى نفس المجرى الشعري الذي يجب أن يكون سنداً وحصناً وسوراً يحمى المجرى الأصلي للنهر الإنساني الحميم، من فلاحى مصر وعمالها ومثقفيها المناضلين..**

*** من هنا كان الانتماء للوطن هو التيمة الأساس .. التى تقوم عليها أعمدة العمارة الشعرية الضخمة للشعر الواقعي، ولشعر سمير عبد الباقي الذي هو واحد صحيح، وقوى من شعرائه، يعرف جيداً أن الانتماء للوطن هو انتماء فني للواقعية، التى هي عكس جمالي لهذا الذي يشرف ناسه الحقيقيون بالانتساب له، مهما كلفهم هذا من مجاهدة أو مكابدة أو صبر، عن الشاعر لايريد من وطنه سوى اقل القليل مع أنه يعطيه أكثر الكثير، عمّره كله وقته كله ويراهما هو بعين المعظم للوطن شيئاً بسيطاً جداً :**

ماليش حماية سوى نفسي / وفن جميل / وقدرة على الصبر / وقناعة، بحظ قليل .

إنه لا يريد من الوطن المحبوب مصر شيئاً سوى أن تقر بوجوده، وترضى بموقفه، وبما يفرضه عليه من ثبات على مبدأ الحب، لذا نراه يرجوها ألا تكرهه على تغيير هذا الموقف .. وإلا كان الموت ...

فلا تكرهيني على قول اللي أنا كرهته / يشهد عليّ النيل / لو تجبريني أموت.

ويبقى العاشق على عشقه لا يتغير، ولا يتحول لأنه صعب (على التطويع) ولا يمكن أن (أكون غير اللي أنا كنته) .. يبقى العاشق مغّرماً حتى لو أنكرته المحبوبة بعد أن قدم لها ما يملك راضياً ..

وان تنكريني / فيكفيني اللي أنا قلته.

وهو مع كل ما تمارسه المحبوبة من دلال يبلغ حد القسوة والتعذيب صاف، متسامح إلى أقصى درجات التسامح إنه فقط ينتظر منها أن تذكره بالخير فعندها سوف ينسى تماماً، بل ينكر، أنها قضت عليه بالموت ..

وإذا تذكريني راح أنكر / إني عشت قتيل

وهذا الانتماء الراسخ فى شعر الشاعر يتخذ صوراً وإبعادا رمزية، متعددة، تبدأ منذ نجاح الشاعر فى القبض على صور الطفولة فى قرية (ميت سلسيل – دقهلية) والتي يحتل القمر فيها مكان المركز، فهو أقرب الأصدقاء إلى أبناء القوى، ولذا نجده عند سمير عبد الباقي شديد الاقتراب منه ومن رفقائه الصغار :

كان القمر البدر هلال .. معصوص زيينا / عيل أشبه ما يكون بينا / مقروض ونحيل / خالي الذهن .. نبيل متعاص بهباب الفرن لكن طاهر / متدرمغ علة وطين .. وجميل.

هذا هو قمر الريف المصري .. كائن إنساني نبيل .. يشارك الطفولة ألعابها وسمرها .. وينير ظلامات ليلها .. يشبهها فى كل شيء .. الفقر والجمال والطهر..

لكن هذا القمر المحبوب .. لا يتركه أبناء المدينة فى حاله .. فكما اعتدوا على براءة القرية .. نراهم يعتدون على جمال القمر، حين يستغلونه كحليه أو فرجه فى تليفزيوناتهم ، وأفلامهم، مثل خيول الفلاحين التى تستخدم فى السينما والمسلسلات.

قمرك ماعادش يا غيطان ونّاس / خيلك بقت أضحوكة فى البندر / باروكة يتبارك بها العسكر / ياهمّ ميت سلسيل وجع فى الرأس.

**لقد تغيرت القرية بعل المدينة، فتغير معها كل شيء، الناس والكائنات والأشياء :**

**لما المدن كتمت نفس ريفها / كل السّفن كسرت مقاديفها / فماعادش غير أنك تموت على مهل / ياللي تصّدق كلّ تخاريفها.**

**وفى موضع آخر يقول الشاعر : (الريف تنكر صبح يشبه مدينة ومات)**

**(2)**

**ويأتي (الخوف) صورة شعرية جديدة فى قصائد سمير عبد الباقي، خوف مجسّم تتحرك به الأشياء فى الخارج فتثير معها حركة الأحياء فى الداخل، شيء / رهيب .. يندر على غير الشعراء الحقيقيين أن يقبضوا عليه فيصوره كما فعل الشاعر :**

**طلت علىّ ساعتها عام الضى / واجهتني سحنة وجهها الكئيب / وقمت عايز أستعين ع الخوف / بكبد الديب / وأستعيذ بالشمس وضحاها / مديت إيدي لقيتنى .. ميت حي.**

**لقد نجح الشاعر فى تصوير الخوف، بصياغة هذه الصورة الجيدة، لأنه مصري فلاح .. رشحت فى وجدانه، وعقله، صور (الجن والعفاريت) من حكايات الجدات أثناء الطفولة، وفى هذه الحكايات يتخلص من رأى العفريت منه بقراءة القرآن، أو إضاءة المكان، ولكن الشاعر يبدأ طرد العفريت الذي هاجمه ليلاً (الخوف) بكبد الديب الذي – إن أكله الرجل – امتلأ قلبه بالشجاعة فأصبح قادراً على مواجهة كافة الأخطار، هكذا يعتقد فلاحونا فى ميت سلسيل قرية سمير عبد الباقي وفى افقليم إن لم يكن فى أرض مصر كلها، لقد أحيا فى نفسه كبد الديب – الذي لابد ان يكون قد آكله من قبل ليحيا شجاعاً – ثم توسل فى نفس اللحظة بكتاب الله وبالسورة التى تصور الشمس فى تمام بزوغها على الكون، وحين امتلك الخائف جسارة المواجهة مدّ يديه ليطرد العفريت، فإذا به خاوي اليدين ولا يجد ما أخافه لكنه يضيق على حقيقته، وهى أصعب من الخوف نفسه .. وبهذا الكشف تكون الصورة الفريدة للخوف الإنساني قد اكتملت :**

مديت إيدي لقيتنى ميت حي.

**وهنا نجد تكراراً دالاً لصورة الميت الحي التى رأيناها فى القصيدة الأم من قبل فى قول الشاعر :**
وإذا تنكر راح أنكر / إني عشت قتيل

**كما نجدها تتكرر محّملة بدلالات جديدة فى مواضع كثيرة من الديوان.**

ويستمر تصوير الخوف متخذاً صوراً درامية متعددة، حيث يكسب الخوف الأشياء حياة لم تكن لها، فتظهر للشاعر على هذا النحو الفنتاوى :

أول مرة أشوف الحيطة بتتكلم / وأسفلت الأرضية بيتألم / بيفزّ وينفض طهقة المحروم / بيدمدم صوته المكتوم / ... عرفت ان الخوف مش إنساني ..

كل الصور الجزئية السابقة، صور درامية، لشخوص – كانت فى الأصل – جمادات فحركها الخوف بما دفعه الشاعر فيها من قوى انفعالية.

وإذا كانت الأشياء قد (تأنسنت) حين مسّها الخوف فماذا يمكن أن يحدث للإنسان حين يهاجمه الخوف ؟؟! إنه بالتأكيد سيرى أبشع ما يمكن للعين ان ترى .. وهو ما فعله الشاعر حين جعله كائناً بشعاً (غير إنساني).

**(4)**

وإذا كان (الخوف) قد أخذ صورة العفريت أو الكائن غير الإنساني فإن (الحزن) النبيل يحتل فى الديوان مساحة واسعة، وهذا طبيعي فى الشعر المصري بعامة، وفى الشعر الواقعي الجديد على وجه الخصوص، وهو عند سمير عبد الباقي حزن عميق، ممتد الجذور، وهو حزن له أسبابه السياسية والاجتماعية :

آهين ياتقل الفاجعة ع الجسم / بعد السنين ما تدق دقتها / الفاكهة تبقى زىّ قلتها / والزهر ينسى حروف اللون / ومعنى الإسم /

ما جدوى الحصول بعد فوات الأوان ؟! وأي طعم أو لون او معنى لأي شيء جميل بعد أن ثقل الجسم بالفواجع وبعد أن (دقت السنين دقتها) فى الروح ؟ هنا تحمل الكنايات الدلالة بلطف لتستقر فى النفوس هينة يسيرة، مرسخة معها شجناً نبيلاً، مشوباً بذلك الحزن النبيل الذي يصوره شاعر نبيل :

وقلبي هذا اللي عصره الحزن فى الأسواق / متربي غاية الأدب.

قلت إن للحزن الذي يفرش على لوحات الديوان أسبابه الواقعية، وها أنا المس بعض هذه الأسباب من شعر صاحبي:

أنا لي بعض حقوق على نفسي / وف نفسي بعض الشك من أمسى / وبعض حروق / هذا المدى المطقى ملاني شقوق / كما طفل شايب مادفعش التمن / كان وعده يفرح كل يوم بشروق / تهموه فى عز النور بعدم الشوف / أصبح بعض الكب مستعفي / بطر .. وعقوق.

إن إظلام الواقع هو أهم الأسباب الواقعية التى أدت على تسرب هذا الحزن النبيل والكثيف والشفاف على شعره .. (هذا المدى المطفى ملاني شقوق) وقد وجد نفسه فى الظلام كطفل شاب قبل الأوان، كان موعوداً بالفرح الدائم المتجدد لكنه ووجه باتهام كاذب ، غير حقيقي، بل مستحيل: (اتهموه فى عزّ النور بعدم الشوف)

وكانت تجربة الاعتقال التى نراها بين قصيدة وأخرى فى الديوان السبب الأهم الذي يقف وراء تشكيل صور الحزن فى شعره، ويدفع إليها بهذا الشجن الإنساني الشفيف:

الحزن وردة مفتّحة فى جروحك / ومصر فاردة شعرها فى سطوحك / كلت قلوب المبدعين القصايد / الشعر زهزة تحت شمس وضوحك ..

فى هذه السطور الشعرية الأربعة، اسمي صور الحزن وأكثرها شفافية فالحزن – رغم أنّه – وردة مفتحة فى جروح الشاعر الوطني المحب، فمصر الوطن عروس تفرد شعرها فوق وجود الشاعر كله (سطوحه) .. لذا فإن شعره يأتي شديد القوة، (زهرة) شديد الوضوح (تحت شمس وضوحك).

&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&

وإلى كون هذه الصورة التى تشكلت فى الأبيات السابقة تقدم موقف لشاعر من الواقع ومن الحزن، فإنها تقدم موقفه من الفن ورؤيته للشعر، حيث يجب أن يكون الشاعر مع الواقع معبراً عن حركته والتي يجب أن نتجه بقوة إلى الأمام، وأن يكون سلاحه فى دفع حركة الواقع شعره الجميل الذي يلمح فرحاً بالتحقق حين هو واضح وضوح الشمس.

هو إذن حزن الأقوياء، من لا يعرفون الخنوع أو التراجع، ولا يصيبهم اليأس، وكيف ذلك، وهو ابن (ميت سلسل) ابن تلك (السلسلة) "الأصلية" ، أو (السلسال) الممتد فى الماضي إلى أبعد مدى فى القوة والتحمل والجلد والتوحد يامسلمين، يا ألسنة/ أنا جدي كان جد النصارى / قبل من مليون سنة / والعقل زينة حتى لو كان من عجين. هي وحدة المصريين المتأصلة فى أعراقهم منذ القدم، من قبل ظهور الأديان .. أصل السلالة، وأول السلسلة واحد ، (أنا جدي كان جد النصارى من قبل مليون سنة).

وغذا كانت هذه الصورة / الحقيقة التاريخية قد جاءت – هكذا – شديدة التكثيف قوية الأداء لمهمتها الدلالية فى مكانها فإن الشاعر يقدمها، من خلال تنويع جديد، بالتفضيل الذي يجمع فيه إضاءات كثيرة، نورت سماء مصر فى مراحل تاريخها المختلفة، فيحدث بينها علاقات درامية تجعلها قادرة على العيش فى الأصلاب المتجددة على نهاية الحياة.

أوزوريس بعتني للحسين بالندر / وماري جرجس لما كنت ألقاه / فى السّوق يبشّر بالحلال والعدل / أغنى زيه حتى وأنا خوّاف / أقول قصايد تغلب السّياف / وتأدب الجاحد / على جسم حورس وعيسى وابن عبد الله / واحلف بحق اللي ماتوا لنا لحدّ الآن / العدل ما نسيناه / مع إنه لاعدىّ على غيطنا ولا شفناه / وهو كان وعد صادق والمسيح الحي /.

هذه هي مصر الوحدة الواحدة ، الدين الراسخ المجدد الدافع بالجسد الحي إلى تحقيق المستقبل.

وهذه هي الوطن الذي يجب أن نحبه، وأن نناضل فى سبيل بقائهن حتى لو وقعنا شهداء فى معاركه. ولأننا نواجه اليوم واحدة من أخطر معاركنا، وهى حربنا مع الإظلاميين والإرهاب، فإن بعضنا يقع ضحية فى المعركة كما حدث مع الشهيد فرج فوده صديق الشاعر ورفيق طفولته وبلدياته الذي فرقته عنه تقسيمات الستينات لشباب مصر إلى يسار ويمين، ومع ذلك ظل الحب قائماً .. وبقى الوطن فى انتمائهما أحداً . وإحنا مازلنا كما كنا اثنين / سجان أنت وإلا أنت سجين / قطّعنا حدّ السكين / ليسار يمين ونسينا العصمة ف أيد مين من يومها وليوم الدين/ والأم الفلاّحة عجنت لي دموعها رغيف الشوق / فرشت لي شالها الممزوق/ وسع البرسيم غطى اللوحة / نسمة بساتين / ندهتنا نصلّى فى سماحة / للحب حقوق / للعشق اللي يباركه الدين

.

هي الأم دائماً قادرة على لمّ الشمّل، وإعادة الغائبين إلى التوحد فى حضرتها، (للحب حقوق .. للعشق اللي يباركه الدين). وإذا كان أخوه فى مصر قد قتلته يد الإرهاب ظلماً وعدواناً فها هو الشاعر يهب بشعره، شاهراً سيفه ضد القتلة، مستنفراً فى شعبه العظيم قدرته على التصدي لهم :

فرجاء ياللي ح تجزرنى / وناوي لي خوانة ح تغدرنى / علشان من عشقي ومن حلمي / وقصايد شعري تطهرني / إفرش بقصايدى رصيفي الجاى / وبدمى الفاتر اتوضّى / يا جيل نسّاى / لو تشرب م النيل تذكرني / ساعة ما أبو جهل يكفرني / ويفوتني قتيل.

هو الشعر / الوطن، سلاح الشاعر وقوته، زاده وزاد أمته، يراه فارشاً نصوصه تغطى جثمانه بعد القتل !! ومن يمكن أن يسكت، حتى يسقط شاعر عظيم ؟ ذروة القدرة الفنية على استنفار غضب الجماعة الشعبية ضد أعدائها .. يصل إليها الشاعر واثقاً من نفسه ومن شعبه ، إنه يكتب شعراً حقيقياً قادراً على النفاذ حتى سويداء القلوب، وهو لا يكتفي بالإبداع للوطن، بل يحمّل نفسه اقوي مما يحمل جهد المبدع .. إنه يحملها عبء نشر إبداعه إلى ابعد مدى فى هذا الوطن .. تضحية جديدة نبيلة لا يقوم بها إلا الفرسان وما أندرهم فى مثل هذا الزمان الذي فيه نرى مع الشاعر :

كافة حروف الأبجدية والساسى مقدده / صابها وقشّقها الرضا / ولا حرف راح يقدر يرد عليك صدى / فشيل بنفسك غنوتك / لو قدرت ارمح بها لآخر مدى.

هذا ما يريده الوطن / الشعر / الحياة .. وها نحن نفعل ولسمير عبد الباقي وقرائه كل الحب.

***

سيد خميس

## شعر المواطن الصغير

إنه المواطن الذي خرج من قريته منذ ما يقرب من أربعين عاماً، لم تندهه نداهة المدينة ليضيع فيها صعلكة وشعرا، لكنه جاء ليدرس فى جامعتها علوم "الزراعة" وبين يديه خفقات قليلة من بشائر الشعر يحلم بأن تتضاعف سنابلها الغضة مائة ضعف.

فقد كان الزمن زمن الأحلام الشعرية والسياسية .. كانت مصر تعيش سنوات زهوها القومي العارم، وكان الطريق يبدو مفتوحاً أمام المستضعفين فى بر مصر، ليكونوا أئمة ويرثوا أرضهم بعد حين .. وكان الشعر تذوب حواجزه، وتتلاقى إبداعاته، وكان كل يوم يتمخّض عن جديد فى الحياة والسياسة والإبداع، ويلوح وكان الشعر الذي سرق من الناس – مثلما سرقت معظم مقومات الحياة – قد آن له أن يعود على أصحابه الأصلين ليصبح أغنية شعبية ! لم يكن مصطلح "شعر العامية المصرية" قد استقر بعد .. كانت هناك أشعار فؤاد حداد فى "أحرار وراء القضبان" وصلاح جاهين فى "كلمة سلام" وكان بيرم العظيم يولى إبداعاته شعراً ونثراً فى صحيفة "الجمهورية" ومئات الشعراء التقليديين تهب عليهم رياح شعر جديد يبشر بإنهاء الخصومة بين الشعر والحياة. وكان هناك صيح عبد الصبور وعبد المعطى حجازي وعشرات غيرهم يضعون للناس خبزهم الشعري الجديد !

وكان سمير عبد الباقي واحداً من هؤلاء ..

انحاز منذ البدايات القديمة لشعر الحياة اليومية، ولرؤية المواطن الصغير الذي لا يزعم انه يملك من الحقائق والاكتشافات الفكرية والفنية ما لم يصل غليه أحد، او انه الملهم الذي يتحدث نيابة عن قومه .. ولكنه يؤمن بأن رؤاه البسيطة والواضحة لا تخلو من حكمة ليست حكمته الخاصة، لكنها حكمة قومه التى تضرب بجذورها فى الزمن والتي أبدعت للتراث العربي الشعبي أعظم صفحاته، عندما أنشغل الحكماء والعلماء والمثقفون بالألاعيب اللفظية، والزخرفات الشكلية، والعقم الفكري.. فحفظ هؤلاء المواطنون الصغار لتراثهم نبض إبداعه ودم حياته !

وكانت إنحيازات سمير عبد الباقي الشعرية قد أكدتها ومنذ سنوات الشباب الباكر انحيازه السياسي اليساري، الذي فهمه وارتبط به وحافظ عليه كل هذه السنوات الطوال، حتى زماننا هذا الذي يبدو فيه هذا الانحياز اليساري – فى نظر البعض – وكأنه يتحدث بلغة أهل الكهف، ويمارس نضالات الطيب الذكر النبيل "دون كيخوته" ! لقد تمكن سمير من الحفاظ الدافئ على هذا الانحياز الجذري، لأنه ومنذ البدايات الأولى، لم يتعامل معه كرطانة، آو تنظير أو مهارة خاصة تكتم صوت الضمير الإنساني من أجل مكاسب سياسية آنية .. لقد انحاز سمير لموقفه السياسي انطلاقاً من رؤية المواطن الصغير – كما فعل فى الشعر – الذي يصل ارتباطه بقيم العدل والحق والخير والجمال والتقدم إلى مستوى صوفي شعبي وهى الوصفة التى اكتشفها قومه منذ آلاف السنين فبنوا حضارتهم وتحملوا عذابات تاريخهم، ومازالوا يواصلون مسيرتهم رغم كل الانهيارات والشماتات وعكوسات الزمان ..

لهؤلاء إنتمى الشاعر، فلم يحمل فى باطنه إغتراباً ولا تناقضاً مفتعلاً بين حكمة على بن أبى طالب وأفكار لينين، ولا بين استشهاد الحسين بن على، وتضحية إرنستو جيفارا بحياته كلها من أجل الفقراء ..

ولقد قدر له وهو يقضى سنوات السجن (**1959 – 1964**) أن يقترب أكثر فأكثر من شيخ هذه الطريقة ورائدها فى ثقافتنا الحديثة الشاعر العظيم فؤاد حداد .. كان فؤاد حداد "نسيج وحده" حسب الاكلشيه البلاغي القديم، وماساتنا نحن أننا أكتفينا باعتباره هكذا : نسيج وحده .. فأعفينا أنفسنا من التأمل العميق فى سدى ولحمة هذا النسيج العظيم، فلم يكن نسيجاً للحياة بوسعها، وما كان أحرانا أن نتعلم منه الكثير .. لقد ضم فى برديه تراثه العربي الإسلامي بقيمه الروحية والثقافية مبعداً منه كل إضافات أعداء الحياة والتقدم، لتنسجم خيوطه وتتكامل مع الإبداع الإنساني العظيم فى الثقافات الأخرى .. لقد كان ينطلق من أرضه، معتزاً بها ، عاشقاً لإبداعاتها، لا تتزعزع قناعاته الجوهرية، لأنه – كصوفي حقيقي – يتجاوز الأعراض والمتغيرات ويعرف ان السفر طويل ..

لقد تعلم – سمير عبد الباقي – الكثير من فؤاد حداد، لكنه كان حريصاً ألا تختلط أوراق المواطن الصغير بأوراق أحد حتى ولو كانت أوراق "الأستاذ" فراح يواصل طريقه الخاص، رابطاً بين العناصر الشعرية التى جاء بها من قريته وبين الشعر الثوري فى

العالم وفى بلادنا، وكما تعلم من فؤاد حداد تعلم من شعراء الإنسانية العظام الذين تربينا على شعرهم لأكثر من ربع قرن : فيرودا، إيلوار ، أراجون ، حكمت، وباقي القائمة الذهبية..

لقد تعلم الشاعر من هؤلاء العظام إتساع مجال الرؤية الإنسانية وارتباط قضايا الإنسان ببعضها، وان ليس ثمة جزيرة للفرح وسط محيط من البشاعة والظلم وقهر الإنسان .. كما تعلم إرتباط الماضي بالحاضر بالمستقبل، وان من يفقد وجه اليوم لن يجد وجهه غداً ..

ولكنه آثر أن يرتبط كل ما تعلمه برؤية المواطن الصغير التى اختارها منذ البداية .. تلك الرؤية التى ترفض الخيار بين الكرامة وبين الرغيف والحيرة بين الندامة وذل الأمل .. فأيه العمل ؟ "أنا لست غلا مواطن شغير – بسيط الموزايا عظيم الخجل " هذا المواطن الصغير الذي يربط بين طفولته وطفولة عناصر الطبيعة من حوله، فلم تكن هذه العناصر حتى أكثرها بعداً كالقمر "كان القمر بدر – هلال .. معصوص .. زينا عيّل أشبه ما يكون بينا .. مقروض ونحيل .. خالي الذهن نبيل" وأنا لا أنوى هنا أن أستعرض قصائد سمير عبد الباقي، فليس المقام مقام دراسة نقدية لهذا الشعر الكثير .. الكثير جيده والكثير عاديه أيضاً، فمن العيوب التى صاحبت رحلة الشاعر الطويلة والمستمرة "عيب العزوف عن الحذف" وهو عيب على المستوى التاريخي يعود بجذوره إلى المرحلة الشفهية فى الإبداع الشعري تلك المرحلة التى كانت تعتمد على آلية الذاكرة وآلية الإنشاد، والذي كان التأكيد والتكرار من لوازمها .. وثمة سبب آخر فى رايي لإصرار الشاعر على استبعاد الحذف من قصائده، هو رغبة الشاعر التأكيد لنفسه ولقرائه ومستمعيه أن الرحلة التى قاربت الأربعين عاماً فى الشعر والحياة لم تكن عبثاً ولا قبض ريح، وانه رغم كل الانهيارات والمتغيرات، فما زالت الحقائق القديمة فى الشعر والحياة صالحة لأيامنا بل ربما كانت الحاجة إليها الآن أشد ..

هذه الكلمات التى كتبتها ليست تقييما نقديا لشعر الشاعر وحسبها أن تكون شهادة من صديق عاصر هذا الشعر منذ البدايات الأولى كما عاصر هذا اللون من الشعر، منذ البداية أيضاً ,..

ولعلى أنا وسمير عبد الباقي تنتمي إلى عالم يراه الآ كثير من أهل الشعر والثقافة واليسار عالماً قديماً ينتمي إلى ما قبل الحداثة، لا ما بعدها كما ينتمون هم ! فما زلنا، ويشاركنا البعض من القدماء نرفض الخيانة الوطنية، والموت عشقاً فى الصهيونية، والتبعية .. ونؤمن بحق شعبنا فى العدل والتقدم والاستقلال، وفى حق كل الشعوب فى الحرية والإبداع .. ما زلنا نرفض القهر والمذلة والمهانة، وإسلام البترول والأمية والفساد والعهر الفكري والفني .. وأن ما حدث لموسكو وكابول والبوسنة والصومال يخصنا وينعكس علينا .. وأن الاشتراكية ليست موضة كالوجبات الأمريكية السريعة ، حتى ولو تنكر لها الذين إغتنوا بسببها من جورباتشوف ويلتسين حتى خيالات ظلهما على أرضنا !

**من أجل هذا كله يعيدني شعر سمير عبد الباقي لبراءة الحياة وغنائيتها، ويملؤني بالقدرة على تحمل التحولات العنيفة، ويذكرني دائماً بأن هناك شعراً مازال قادراً على الدفاع عن الحقيقة والقيم الحقيقية :**

"عفوك يا ست النور

يا رحمة من رفه عيون حاتحور

إرمى بياضك يا أمة واختاري ..

الكل منا للهوى مندور

العشق مش بالسن ولا الوطن بالدين

أماتنا عاشوا ع البح والتين

إتمرجحوا على فرع جميزة وعود ياسمين

أكلوا رغيف المسلمين الحاف

إتوحّموا على طميه الجرجاف

إشتكّوا للعدرا ظلام الغرب

واشتكّوا للبدوي من الوالي قليل العقل

واترحموا على خاتم المرسلين ..

**وطوبى للمواطنين الصغار، وشاعرهم المبدع، الذي ظل قابضاً على قناعاته الإنسانية، ولم تزده الآلام والخيانات والعواصف الهرج، إلا أشجاناً حزينة تعمق من ألوان أغنياته الشجاعة ..**